

5 me Année, No. 200

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 3 - 5 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٠٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٥٦ — ٣ مايو سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

صفحة

٧٢١ حول الديمقراطية أيضا . . : لأستاذ كبير
٧٢٣ ندرة البطولة . . . . : الأستاذ أحمد أمين
٧٢٦ قرائى الذين يحبوننى . . . : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٧٢٨ أمراء للبيع . . . . : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٧٣١ القاهرة المعزية . . . . . . : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٧٣٤ الوصف فى الأدبين العربى والانجليزي . . . . : الأستاذ فخرى أبو السعود
٧٣٧ ثورة دجلة . . . . : الأستاذ على الطنطاوى
٧٤٠ سر مجهول . . . . : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٧٤٢ نقل الأديب . . . . : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٧٤٤ الفلسفة الشرقية . . . . . . : الدكتور محمد غلاب
٧٤٦ إلى أين يتجه الشباب ؟ . . : محرر الصحيفة
٧٤٨ قصة المكروب . . . . . . : ترجمة الدكتور أحمد زكى
٧٥٢ اسماعيل المفترى عليه . . . : الأستاذ الغنيمى
٧٥٥ ملاحظات على التعليم فى مصر - ثلاثة كتب عن الحرب الحبشية
٧٥٦ دار لنوادى القلم فى باريس - اكتشاف مدينة مصرية قديمة .
٧٥٧ متحف لحياة الطلبة - مشروع معجم للأعلام عن مصر - احياء ذكرى المنفلوطى - المبرد .
٧٥٨ كتب الرحلات - حفلات غنائية هائلة - كتاب عن الرهبنة .
٧٥٩ عالم السدود والقيود (كتاب) : الأستاذ كامل محمود حبيب
٧٦٠ أبجسن القصص « : الأستاذ عبد العظيم على قناوى

إلى الشباب

حول الديمقراطية أيضا

لأستاذ كبير

لست أدرى والله أى يومى (الرسالة) أمجد وأعلى ، أهو الأمس وقد قصدت إلى عالى الأدب تنشره ، وسامى المثل تضربه ؟ أم هو اليوم وقد ضمت إلى ذلك مناجاتها لشباب البلاد وتوجهها إليهم لتحاورهم فيما يمس حياتهم ، ولتلتمس معهم سبيل الهداية إلى ما هو أحرى بالقصد وأجدى على الوطن؟

ولقد أصاب مقالها الأخير فى الديمقراطية مكانا من النفس هز أوتارها ، فإنا فى أول عهدنا بحكم أنفسنا كما تقول وقد تشعبت أمامنا السبل ونشطت الآمال من عقالها ؛ ولا بد لنا من أن نسترشد فى هذا العصر بالعقل الرزين والمنطق المتين ، كما لا بد لنا أن نستلهم الشرف والوطنية ، وأن ننأى عن كل مظنات الخطأ أو الإسفاف . وليس أحق من الرسالة بأن تلج هذه المعانى وتعالجها معالجة صريحة قويمة ؛ وليس أحق من شباب البلاد بأن يرمى فى هذا الحوار بسهمه ويدلى بدلوه ، فإن المستقبل للشباب ، ومصير البلاد آيل إليهم بعد حين ؛ وما يكون اليوم خطأ يكون عليهم فى المستقبل

حملا ثقيلا ، بل ربما يكون فى سبيلهم عقبة لا يطيقونها ولا يقومون على تذليلها إلا بتضحيات ومشقات . فإذا نحن قلنا إن مصلحة البلاد فى توخى هذه السبيل أو تلك فإن الشباب أول من يعنيه هذا القول ، وينبغى لهم أن يكونوا أول المصريين اهتماما للبحث وسعيا وراء المصلحة ، لأنهم الذين سيجنون ثمار الخير إن كان خير ، أو يحملون أوزار الخطأ إن كان لا قدر الله خطأ .

ولقد ثارت فى الأيام الأخيرة كلمة فى صحيفة من الصحف ، ثم تبعتها كلمة أخرى فى صحيفة أخرى ، تناول فيها كاتباها موضوع الديمقراطية ؛ وهاهى الرسالة تردد المعنى نفسه وتبحث فيه على أسلوبها ونبالة مراميها . وهذا الترديد فى نفسه عظيم الدلالة ، لأنه يدل على أن فى النفوس معنى تحاول أن تستجليه ، وذلك المعنى طبيعى لمن كان فى عصرنا هذا يعيش بين تيارات مختلفة فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ فبعض البلاد قد اتجه وجهة يسمونها الفاشية أو الدكتاتورية ، ويحاول أنصارها أن يدعوا لها ويمهدوا لحكمها بكل ما استطاعوا من وسائل الدعاية ، ويدعمون حججهم بأمرين : الأمر الأول أن تلك البلاد تهددها أخطار جمة من جميع النواحى ، فلا قبل لها بمقابلة تلك الأخطار إلا بجمع الشمل وضم الصفوف واتحاد الأفراد تحت إرادة واحدة لا يشذ عنها أحد . والأمر الثانى أن الطغاة القائمين على تلك الدول قد أصلحوا مرافق البلاد وزادوا فى مجدها وقوتها ورفعوا شأنها بين بلاد العالم

ولسنا فى صدد مناقشة هذه الحجج ، ولا نريد أن نبين ما فيها من وجوه المغالطة والمداورة . وحسبنا أن نكرر هنا تلك الكلمة البديعة التى جاءت فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة : « أنا أفهم أن المرء يُقهر فيخضع ، ويؤسر فيُسترق ، لأن الأمر فى ذلك لا يخرج عن قانون الطبيعة من تغلب الأقوى وسيادة الأصلح ، ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف يستأسر شعب بأسره لواحد منه فيلقى بزمامه إليه ، ويعول فى جميع أموره عليه ، والشعب مهما صغر لا يقل عن شعب ، والفرد مهما كبر لا يزيد على فرد » ؟

ولعل مصر أبعد بلاد العالم عن فكرة الطغيان ولعل شعب مصر أشد شعوب العالم كرها لحكومات الطغاة . ولقد جربت تلك المحاولة مرات فى مصر الحديثة ، وجربتها من قبل دول فلم تدم تجربتها طويلا على أساس ثابت . وجربها ساسة فاسفرت تجربتهم عن فشل ، وعادوا من التجربة بصفحة شوهاء ؛ ولم يفوزوا بما أرادوا من ثبات الحكم بل ضاعت مجهوداتهم فى مناضلة روح الشعب الثائرة ، ولم يستطيعوا التفرغ لإصلاح ولا لتجديد . وحسب البلاد انها عرفت ان مآل الطغيان الى الانهيار ، فلا نحسب أحدا يحدث نفسه بتجربة أخرى فى ذلك السبيل ، ولا نظن احدا يجرؤ على الدعوة اليها صراحة ، لأن الشعب كله يشعر بأن ذلك جرم اجتماعى لا ينبغى له أن يتسامح فيه . فلذلك لا نرى ثمت حاجة تدعو الى التعرض لفكرة الدكتاتورية بالنقد أو الهدم اذ قد كفانا الماضى شرها فهدمها فى عقائد الشعب وأظهرها له فى أبشع صورها وأشنع آثارها

ولكننا مع ذلك نحمد للرسالة الغراء أنها هتفت بذلك الاسم الحبيب الى النفس وهو (الديمقراطية) لأن الشباب جدير بأن يجعلها قبلته وشعاره . فان الشعب الذى يحترم نفسه لا يتسامح فى أمر حكم نفسه ، بل يصر على أن يكون مرجع كل أموره الى ارادته ، ويصر على أن يكون رأى الفرد وارادة الفرد ومجهود الفرد وحرية الفرد اساسا ثابتا للمجتمع لا يحد من ذلك كله الا حد الدستور وحد القانون

ولكن الحكم الديمقراطى لا يكون حقيقياً إلا إذا كان متغلغلا فى كل نواحى الحياة غير مقصور على حكومة الدولة . فجدير بنا فى هذا العهد أن نتجه إلى شبابنا نناشده أن يقيم كل حياته فى مجتمعاته ومشروعاته على ذلك الأساس الحر الديمقراطى فيكون فى مدارسه وفى جمعياته وفى نواديه صادراً عن عقيدة ثابتة فى أن الفرد الكامل الحر هو الوحدة الصالحة للمجتمع الصالح الحر . وأن المجتمع الذى يقنع بأن يسير وراء إرادة فرد سيرا أعمى لا عن عقيدة بل عن خمول واستخذاء لن يكون مجتمعا جديرا بالحياة .

(مصرى)

ندرة البطولة

للأستاذ أحمد أمين

قالوا — انا تتلفت يمنة ويسرة فلا نجد فى عصرنا بطولة من جنس بطولة العصور الماضية ، ولا نجد نبوغا رائعا قويا كنبوغ من نبغ فى الأجيال السابقة . فتش — اذا شئت — فى كل لون من ألوان البطولة ، وفى كل ناحية من نواحى النبوغ تجد هذه الحقيقة واضحة

فهل تجد فى الشعر أمثال بشار وأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز وأبى العلاء ؟

وهل تجد فى النثر أمثال ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ؟

وهل تجد فى قيادة الحروب أمثال خالد بن الوليد وأبى عبيدة ؟

وهل تجد فى سياسة الأمم أمثال عمر بن الخطاب وعمر ابن عبد العزيز ؟

وهل تجد فى الغناء أمثال اسحق الموصلى وابراهيم بن المهدى ؟

وهل تجد مؤلفا فى الأغانى كأبى الفرج الأصفهانى ؟

وما لنا نذهب بعيدا ويوم فقدنا السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده لم نجد عوضا عنهما فى العلم بالدين والأخلاق والسياسة ؟

ويوم فقدنا البارودى وحافظا وشوقى لم نجد لهم خلفا فى شعرائنا

ويوم فقدنا عبده الحمولى ومحمد عثمان تبلغ من الغناء بالقليل

ويوم فقدنا الشيخ على يوسف لم نر من يسد مسده فى الصحافة

ومن الغريب أنهم يشكون فى أوروبا شكايتنا ، ويلاحظون عندهم ملاحظتنا ، فيقولون أن ليس عندهم فى حاضرهم أمثال فجنر وبيتهوفن ، ولا أمثال شكسبير وجوته ، ولا أمثال رفائيل ولا أمثال داروِن وسبنسر ، ولا أمثال نابليون وبسمارك

فهل هذه ظاهرة صحيحة ؟ وان كانت فما سببها ؟

قد كانت كل الظواهر تدل على أن الجيل الحاضر أحسن استعدادا وأكثر ملاءمة لكثرة النبوغ وازدياد البطولة ، فقد كثر العلم وسهل التعلم ، ومهدت كل الوسائل للتربية والتثقيف ، وكثر عدد المتعلمين فى كل أمة ، وفتح المجال أمام النساء كما فتح أمام الرجال ، فأصبحت وسائل النبوغ ممهدة للجنسين على السواء ، وتقطر العلم الى العامة فاصبحوا يشاطرون العلماء بعض معلوماتهم ، وانتشرت الصحف والمجلات تغذى جمهور الناس بالعلم والأدب ، واتصل العالم بعضه ببعض اتصالا وثيقا فى المواصلات والعلم والسياسة والاقتصاد وما الى ذلك

كل هذا كان يجب أن يكون ارهاصا لكثرة النبوغ والتفنن فى البطولة ، لا لقلة النبوغ وندرة البطولة ؛ فلم أصيبت الأمم كلها بهذا العقم وكان مقتضى الظاهر أن كثرة المواليد تزيد فى كثرة النابغين ، وكان مقتضى الظاهر أيضا أن عصر النور يلد من الأشخاص الممتازين أكثر مما يلد عصر الظلام

***

يظهر لى مع الأسف — أن الظاهرة صحيحة وان الجيل الحاضر فى الأمم المختلفة لا يلد كثيرا من النوابغ ، ولا ينتج كثيراً من الأبطال ، وأن طابع هذه العصور هو « طابع المألوف والمعتاد » لا « طابع النابغة والبطل »

بقى علينا معرفة السبب فى ذلك

من الأسباب القوية على ما يظهر أن الناس علا مثلهم الأعلى فى النابغة والبطل ، فلا يسمون بطلا أو نابغة الا من حاز صفات كثيرة ممتازة قل أن تتحقق ؛ وهذا طبيعى ، فكلما رقى الناس ارتقى مثلهم الأعلى

قد كنا الى عهد قريب تعد من يقرأ ويكتب ، وبعبارة أخرى « من يفك الخط » رجلا ممتازا لأنه نادر وقليل ، فكان ينظر اليه نظرة تجلة واحترام ؛ فلما كثر التعليم بعض الشيء كان من أخذ الشهادة الابتدائية شابا ممتازا ؛ فلما كثرت انتقل الامتياز الى البكالوريا ، ثم الى الشهادة العليا ، ثم الى شهادات جامعات أوروبا ، ثم أصبحت هذه أيضا ليست محل امتياز ، وارتفعت درجة النبوغ الى شيء وراء هذا كله

والناس — على الجملة — استنارت أذهانهم الى حد بعيد ،

وا كتشفوا سر العظمة ، فأصبحت العظمة المعتادة لا تروعهم ، انما يروعهم الخارق للعادة ، وأين هو تحت هذه الأنوار الكشافة؟

ثم شعر الناس بعظمتهم هم أيضا وبشخصيتهم ؛ والبطولة تأتى — فى الغالب — عند ما يسلس الناس زمام نفوسهم للبطل ، فهم بطاعتهم له واستسلامهم لأمره واشارته يزيدون فى عظمته ، ويغذون بطولته — فان كانوا هم أيضا يشعرون بعظمة أنفسهم قلت طاعتهم وقل تبجيلهم وخضوعهم لكائن من كان ، وبذلك لا يفسحون للبطل بطولته فلا يكون . فلو وجد اليوم شخص فى أخلاق نابليون وصفاته ومميزاته ما حققوه فى عصرنا ، ولا كان الا رجلا عاديا أو ممتازا بعض الامتياز ؛ فأما أن تطيعه الخلائق هذه الطاعة العمياء وتبيع نفوسها رخيصة فى سبيل مجده ، وتسفك دماءها أنهارا لتحقيق عظمته ، فذلك مالا يكون اليوم كما كان بالامس

قد تضرب لى اليوم مثلا بموسولينى ومصطفى كمال وهتلر ، ولكن الفرق عظيم جداً ، فهؤلاء يؤثرون فى شعوبهم من ناحية أنهم خدام للشعوب لا سادة لهم ، وان الشعب اذا عظمهم فلأنهم يخدمونه ، ويوم يثبت له أنهم لا يعملون لخيره ينفضون يدهم عنه . فأين هذا من الطاعة العمياء التى كانت لنابليون ؟ ولهذا نرى كلا من هؤلاء يتملق شعبه ويحاول أن يقيم البرهان كل يوم على أنه عامل لخيره ساع فى سعادته لشعوره التام بأنه انما يحكم الشعب بارادة الشعب لا بارادته هو ، فاذا هو لم يتمتع بهذه الثقة سقط من عرشه ، وهذا — من غير شك — يقلل شان البطولة

* * *

ولهذه الأسباب التى ذكرت أنها كانت تؤذن بكثرة النوابغ هى بعينها التى قللت النوابغ ؛ وتعليل ذلك معقول ، فكثرة العلم واستنارة الشعب جعلت النبوغ عسيراً لا سهلا يسيراً

ومصداق ذلك أن الأمم فيما مضى كانت تمنح المشعوذين والمخرفين ألقاب البطولة ، وتنظر إليهم نظر تفوق ونبوغ ؛ من أمثال من كانوا يسمونهم « الأولياء » فيكفى أن يتظاهروا بالجذب ويتصنعوا الصلاح ويدعوا معرفة الغيب ليهرع إليهم الناس ويقبلوا أيديهم ويلتمسوا منهم البركة ويرفعوهم فوق النوابغ والأبطال ؛ وأحيانا يلقبوهم « بالأقطاب » فلما فتح الناس عيونهم ، وعقلوا بعد غفلتهم ، واكتشفوا حيلهم ومكرهم لم تعد لهم هذه المكانة ، وحل بعض محلهم المصلحون الاجتماعيون الذين يخدمون أممهم بعملهم . ومعنى ذلك أن الشعوذة والمخرفة حل محلها مقياس المنفعة وسار الناس فى طريق التقدير الصحيح وهو الاحترام والتبجيل على قدر ما يصدر من الشخص من خير عام حقيقى

* * *

ومن أجل هذا أيضا رأينا التيار فى هذه الأيام يتجه إلى تقليل شأن البطولة فى الأعصر الماضية ، فلم يعد البطل القديم فى الأدب والسياسة والفن والعلم يقدر التقدير الكبير الذى كان يقدر به من قبل ، لأن الناس أخذوا يحللون كل بطل ، ويبينون سر بطولته ، « ومتى ظهر السبب بطل العجب » ولم يقنعهم ما كان يحيط به من غموض فألقوا أضواء كثيرة على من كانوا يسمون الأبطال ، فأحيانا يؤديهم البحث إلى إنكار بطولة بعض الأشخاص بتاتا ، وأحيانا يقللون من قيمة البطل ، بل وأحياناً يرون بطلا من أنكر الناس قديما بطولته

ذلك لأن مقاييس البطولة تغيرت وأصبحت عند المحدثين خيرا منها عند الأقدمين ، ولأن المحدثين رأوا أن القدم نسج لكثير من الناس أثوابا من البطولة لم تكن موجودة أيام حياتهم ، وكلما تقدم الزمن منحهم الناس شارة بطولة جديدة ـ فلما عرض هذا كله للنقد وأزاح أهل العلم الحديث ستائر القدم تبين البطل فى صورته الحقيقية أو قريبا من صورته الحقيقية ، فأحيانا يرتفع الستار عن لا بطل ، وأحيانا يرتفع عن بطل ، ولكن دون ما كان يقدره القدماء ؛ ونادرا ما يبقى البطل بطلا كبيراً حتى بعد ما ترتفع حجب القدم

ولهذا نجد كثيراً من المعاصرين هم فى الحقيقة نوابغ ، وهم يفوقون بمراحل بعض نوابغ الأقدمين ، ولو كانوا فى العصور الماضية لارتفعت منزلتهم فوق ما ارتفعت اليوم ، ولكن لم نمنحهم نحن لقب البطولة للأسباب التى أشرنا اليها قبل من أننا رفعنا إلى حد بعيد المثل الأعلى للنبوغ ، ولأننا نحلل

النابغ ونكتشف سره ، وذلك يقلل من تقديره ، ولأنه معاصر والمعاصرة أعدى أعداء الاعتراف بالنبوغ

وقد يتصل بهذا أن كثرة النبوغ تضيع الاعتراف بالنبوغ ، فكل أمة راقية الآن لديها عدد كبير من المتفوقين فى كل فرع من فروع العلم والفن ـ فى القانون ـ فى الأدب ـ فى الطبيعة ـ فى الكيميا ـ فى الرسم ـ فى التصوير . فلما كثر هؤلاء فى كل أمة أصبح من العسير أن تميز أكبر متفوق منهم لتمنحه صفة النبوغ ؛ ومن العسير أيضاً أن تسميهم كلهم نوابغ ، لأن النبوغ بحكم اسمه ومعناه يتطلب الندرة ، فلما كثر النابغون أضاعوا اسم النبوغ . وعلى العكس من ذلك الأمم المنحطة ، لما لم يوجد فيها إلا قانونى واحد أو أديب واحد أو موسيقى واحد كان من السهل أن يمنح لقب النبوغ .

***

ثم إن الديمقراطية التى سادت الناس فى العصور الأخيرة ونادت بالمساواة وألحت فى الطلب أوجدت فى الشعوب حالة نفسية كان لها أثرها فى موضوعنا اذ أصبح الناس لا يؤمنون بتفوق كبير ، لا فى المال فهم يريدون الاشتراكية ، ولا فى السياسة فقد يتبوأ الحكم حزب العمال فيدير الأمور كما يديرها الأرستقراطيون فى السياسة بل أحسن منهم

فدعتهم هـذه الحالة النفيسة إلى أن يكفروا بالتفوق أو بعبارة أخرى يكفرون بالنبوغ ؛ وبعيد أن يُعترف بنبوغ فى جو يكفر به ـ لقد كان الناس قبلُ أكثر إيماناً بالفروق فى المال والكفاية والعلم فكان هذا الإيمان وسيلة صالحة لظهور النبوغ ، فلما جحدوا كل شىء كان النبوغ مما جحدوا

وأخيرا كان من أثر هـذه الديمقراطية تعميم التعليم ، والبحث فى خير الوسائل لنشر العلم ، فقامت النظريات المختلفة فى التربية والتعليم وأصبح العلم شعبيا بعد أن كان أرستقراطيا

واستخدمت الوسائل المختلفة لتبسيط العلم وتحبيبه إلى النفوس ، وغيرت نظم المدارس . فأنشئت رياض الأطفال مكان الكتاتيب ، والمدارس الناعمة بدل المدارس الخشنة ، واخترعت البيداجوجيا وسائل لتسهيل الدرس وإيصاله إلى الذهن من أقرب طريق

كان من نتيجة ذلك كثرة المتعلمين وقلة النابغين ، واتساع البحر وقلة عمقه ، وذلك لأن من كان يتفوق فى الماضى كان يصادف عقبات لا حد لعددها ولا حد لصعوبتها ، فكان من الطبيعى ألا يجتازها إلا الأقلون ، ولكن من يجتازها تكون لديه الحصانة الطبيعية ويكون قد تعود اجتياز العقبات واحتمل مشقة السير ، فكان ذلك سبب النبوغ من ناحيتين ، من ناحية قلة من يجتاز العقبات ومن ناحية من يجتازها

أما وقد أصبح التعليم معبدا ميسرا فقد زاد عدد المتعلمين وقل النابغون وأصبح الفرق بين العهدين كبذرة تربى فى حديقة بستان وبذرة تنبت فى الجبال حيث الرياح العاصفة والشمس المحرقة والمطر الذى لا نظام له . فأين نبت البستان من نبت الجبال ، واين الحيوان المستأنس من الحيوان المستوحش ؟

وبعد ، فما أحق هذا الموضوع بالدرس ، وتناول الكتاب له من وجوهه المختلفة ؟

احمد أمين

قرائى الذين يحبوننى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

لكل كاتب قراؤه . وما من كاتب يعدم قارئاً من كل طبقة ، ولكن المعوّل على الأوفياء الثابتين على الولاء ، فان هؤلاء طريق الرزق ، ووسيلة الاطمئنان والدعة ، ولولاهم لما عرف المرء متى يمكن أن يتاح له أن يأكل ، وإن كان لا يجهل كيف يجوع . ولست أعرف ماذا يصنع غيرى ليهتدى إلى طبقات قرائه ، ولكنى أعرف أن مصلحة البريد أغنتنى عن عناء السعى ومشقة التفكير فى الوسائل المعينة على الاهتداء ، فان رسائل كثيرة تأتينى منها فاستخلص منها العلم الذى أطلبه والمعرفة التى أشتهيها . وما أكثر ما قلت لنفسى إن الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ومن إليهم من هؤلاء الزملاء والرصفاء ، كانوا مساكين . — أوه جداً — فما عرفت الدنيا فى أيامهم مصلحة البريد . وقد كان من الصعب ولا شك أن يعرفوا مبلغ حب الجمهور لهم وإعجابه بهم وماذا كان يمكن أن يبلغ من رواج كتبهم لو أنها كانت تطبع وتباع فى المكاتب ، وقد حرمهم هذا الحال الاستقلال عن الأمراء ومن إليهم . ومن الصعب أن يعمل المرء فى الظلام . نعم كان الواحد منهم لا يعدم تشجيعاً من الشعب ، ولكن هذا كان فلتة لا تحتسب ولا يعول عليها . ومن السهل أن يتصور المرء أن الجاحظ مثلا كان يلقى فى الطريق واحداً يتقدم إليه ويقول له : « اسمح لى . . هل أنت الذى يسمى الجاحظ ؟ . »

فيهز رأسه أن « نعم » وهو راجف القلب لأنه يخشى الاعتراف الصريح المقيِّد ، لئلا يكون هـذا السائل من الشرطة

فيقول الرجل : « لقد صدقوا . . أعنى أن اسمه فى محله . . على كل حال . . ثابريا بنى ! . . فانى أتنبأ لك بمستقبل باهر . . »

ويربت له على كتفه ويمضى عنه مبتسما ، وعينه إلى الملك الذى ينبغى أن يكون محتفظاً بمكانه على يمينه ، مرهف الأذن مقيما سنّ القلم على الدفتر المفتوح ليقيد له هذه الحسنة — حسنة التبرع الكريم بالتشجيع

وإذا كانت الرسائل التى ترد إلىّ دليلا على شىء ، فانى أكون أحب الناس — أعنى الكتاب — إلى ثلاث طبقات : — المرضى ، واللصوص ، وقد نسيت الطبقة الثالثة . . لا باس من يدرى ؟ . . ربما تذكرتها أثناء الكلام . وقد عرفت هذا من الرسائل التى يحملها إلىّ البريد ، كما قلت . وهذا نموذج منها :

« . . . . وبعد فانى لم أسمع باسمك من قبل ، ولكن مرضت ودخلت المستشفى ، وجاءنى زائر فترك لى كتاباً أتسلى به ، غير أنى لم استطع أن أتصفحه فى أول الأمر لشدة وطأة المرض ، فلما خف قليلا مددت يدى إليه وبدأت أطالع . وأؤكد لك أنه سرنى جدا . وأنا صحيح الجسم فى العادة ، ولكن الأمراض لا أمان لها ، كما تعرف ، فارجوا أن تبعث إلىّ بمجموعة من كتبك كلها — ومعها جملة ثمنها — استعداداً للطوارىء فان الحيطة واجبة وإن كان الأمر كله بيد الله

وتقبل سلام المعجب بك المعتمد بعد الله عليك »

وفى وسع القارىء أن يدرك مبلغ حيرتى ، فانه لا يسعنى إلا أن أتمنى لمثل هذا الرجل الصحة والسلامة ، ولكن المصيبة والبلاء العظيم أنه إذا صح وسلم كان خليقاً ألا يعود إلى كتبى ليقرأها ، فما العمل ؟ . . هذه هى المسألة — كما يقول هملت — وليس ذنبى أن الأمراض تحبب الناس فى كتبى ، فاذا كنت أسر حين أقرأ فى الصحف أن الملاريا انتشرت فان لى العذر ، فما كان هذا ظنى ، ولا خطر لى قط على بال ، ولكن مشيئة الله جعلتنى مثل « الحانوتى » الذى يسره ويفرحه ما يحزن الخلق ويبكى المفجوعين . ولهذا تروننى إذا سمعت بفشو مرض أدخل مسروراً على أهل بيتى وأقول لزوجتى : « خذى يا امرأة . . (وألقى إليها بكل ما يكون معى ، قل أو كثر) خذى وأنفق بلا حساب ، فان ما عند الله أكثر »

فتعجب وتسألنى : « ماذا جرى ؟ . . . هل ربحت ورقة يا نصيب ؟ . »

فأقول منكراً عليها هذا الخاطر : « وهل مثلى يعنى بورق

اليانصيب ؟ سبحان الله يا امرأة فى طبعك ! »

فتقول ضاحكة : « ولكن ألا تخبرنى ؟ .. إننى أكاد أموت شوقاً إلى المعرفة »

فأقول وأنا أرمى إليها بالصحيفة التى قرأت فيها خبر المرض المتفشى ، وعجز وزارة الصحة عن مكافحته : « خذى واقرئى ، واشكرى الله ، وقبلى يدك بطناً وظهراً ، فلن نجوع أو نفتقر ، مادام فى الدنيا شىء اسمه مرض وشىء آخر اسمه وزارة الصحة . لقد جعلوها وزارة ... رفعوها ورقوها ووسعوها .. أليس هذا باعثاً قوياً على الاطمئنان والثقة بالله ؟ »

***

وقد بالغت حين قلت إنى محبوب من اللصوص وما أردت إلا أن لصاً واحداً – على ما يظهر لى الآن – هو الذى يحبنى ، فلقد تلقيت مرة كتاباً يذكر لى فيه أنه سمع باسمى وشهرتى ، فعرف أنى كاتب عظيم جداً ، فهو يكتب إلى مستنجداً فقد اتهموه بسرقة كلب . والقضية معروضة على القضاء ، وكان محبوساً رهن التحقيق ، ثم أفرجوا عنه بالكفالة الشخصية ، وهو يحتاج إلى محام يدافع عنه ولكنه لا مال معه فهل أستطيع أن أدله على محام كريم ، أو أعينه بطريقة أخرى ..؟ وهو يترك الأمر بين يدى واثقاً من مروءتى وكرمى فان مثلى لا يخيب من يقصده

هذا هو الزبون الجديد ، وقد قلت لنفسى لما تلقيت هذا الكتاب العجيب : « والله نجحت يامازنى !.. بلغت شهرتك أخفى الزوايا وتغلغلت إلى لصوص الكلاب .. ماشاء الله ! . أحسب أن اللص حين يخرج إلى السرقة بعد اليوم ، ستقول له زوجته أو أمه أو لا أدرى من غيرهما :

« هل أنت متأكد أن معك كل ما تحتاج إليه ؟ »

فيقول : « أيوه .. أيوه »

فتقول : « احذر أن تكون نسيت الطفاشة ! .. العدة كلها معك ؟ .. »

فيقول : « قلت لك أيوه .. ألا تسمعين ؟ »

فتقول : « والمازنى ؟ .. هل أخذته معك ؟ .. »

فيقول : « أوه .. طول الليل وأنا أقرأ كتابه .. وهل أستطيع أن أعمل شيئاً دون أن أقرأه ؟ .. أتظنيننى مغفلا ؟ أم تحسبين أنى حديث عهد بالفن ؟ »

فتقول : « لا .. إنما أردت أن أطمئن .. وأسمع .. امش بحساب .. والبس القفاز قبل أن تلمس أى باب أو مفتاح أو حائط .. حاذر ! »

فيقول : « اطمئنى .. كل شىء على مايرام .. ومعى المازنى فلا تخافى ولا تقلقى »

ويلمس صدره حيث وضع الكتاب تحت ثوبه

***

ولكل قاعدة شذوذ واستثناء . وقد حدث منذ بضعة أيام ما كاد يغرينى بتغيير رأيى فى طبقات القراء الذين يحبوننى ويؤثروننى على من عداى من كتاب هذا الزمان . ذلك أنى كنت مدعوا إلى مادبة عشاء فاتفق أن أجلسونى إلى جانب سيدة عجوز شمطاء ، ودار الكلام على الأكل وكان بعض الذين يخاطبوننى يدعوننى : « الأستاذ » والبعض يؤثر أن يرفعنى درجة فيقول لى : « يا بك » ولكنه لم يدعنى باسمى أحد كانه عيب لا يليق أن يذكر ولا سيما على مسمع من السيدات

ثم التفتت إلى العجوز وقالت : « إنى سعيدة »

فقلت باختصار : « أهنئك »

فألحت فى صرفى عن جارتى الأخرى ، وكانت فتاة هيفاء نضيرة الحسن وصوتها كالتغريد

« صحيح .. سعيدة جداً .. كل كتبك قرأناها »

فتركت الفتاة وأدرت وجهى إلى هذه العجوز وسألت باهتمام : « صحيح ؟ »

فقالت باضطراب رابنى : « كلها كلنا »

فقلت مردداً قولها : « كلكم ؟ .. كلها .. ؟ شىء جميل ؟ »

فقالت : « ابنى على الخصوص .. إعجابه بك لا حد له »

فأردت أن أستوثق وسألتها : « هل هو مريض ؟ »

قالت : « أعوذ بالله .. إن صحته جيدة جدا »

فقلت لنفسى إن هذا جديد ، فيحسن أن أتقصى الأمر وسألتها : « ألم يصبه مرض قط ؟ »

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

أمراء للبيع ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال الشيخ تاج الدين محمد بن على الملقَّب طُوَير الليل أحد أئمة الفقهاء بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة (١) :

كان شيخنا الامامُ العظيم شيخُ الإسلام تقى الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد (٢) لا يخاطب السلطان إلا بقوله: (يا إنسان)، فما يخشاه ولا يتعبّد له ولا ينحَلُه ألقابَ الجبروت والعظمة ولا يُزينه بالنفاق ولا يُداجيه كما يصنع غيره من العلماء . وكان هذا عجيبا ؛ غير أن تمام العجب أن الشيخ لم يكن يخاطب أحدا قط من عامة الناس إلا بهذا اللفظ عينِه (يا إنسان) ، فما يعلو بالسلطان والأمراء ولا ينزل بالضعفاء والمساكين ، ولا يرى أحسنَ ما فى هؤلاء وهؤلاء إلا الحقيقة الانسانية .

ثم كان لا يعظم فى الخطاب إلا أئمة الفقهاء ، فاذا خاطب منهم أحداً قال له (يافقيه) . على أنه لم يكن يسمح بهذا إلا لمثل شيخ الإسلام نجم الدين بن الرقعة (٣) . ثم يخص علاء الدين بن الباجى وحده بقوله (يا إمام) ؛ اذ كان آية من آيات الله فى صناعة الحجة لا يكاد يقطعه أحد فى المناظرة والمباحثة ؛ فهو كالبرهان إجلاله إجلالُ الحق لأن فيه المعنى وتثبيتَ المعنى .

وقلت له يوما : ياسيدى أراك تخاطب السلطان بخطاب العامة ، فان علوت قلت (ياإنسان) وإن نزلت قلت ياإنسان ؛ أفلا يُسخطه هذا منك وقد تذوّق حلاوة ألفاظ الطاعة والخضوع ، وخصه النفاق بكلمات هى ظلُّ الكلمات التى يوصف اللهُ بها ، ثم جعله الملك إنسانا بذاته فى وجود ذاته حتى أصبح من غيره كالجبل والحصاة ، يستويان في العنصر ويتباينان فى القدر ، وأقله مهما قلَّ هو أكثرها مهما عظمت ، ووجوده شىء ووجودها شىء آخر ؟

فتبسم الشيخ وقال : يا ولدى إيش هذا ؟ إننا نفوس لا ألفاظ ، والكلمة من قائلها هى بمعناها فى نفسه لا بمعناها فى نفسها ؛ فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه ؛ ولو نافق الدين لبطل أن يكون دينا ؛ ولو نافق العالم الدينى لكان كل منافق أشرف منه ؛ فلطخة فى الثوب الأبيض ليست كلطخة فى الثوب الأسود . والمنافق رجل مغطًّى فى حياته ولكن عالم الدين رجل مكشوف فى حياته لامغطى ؛ فهو للهداية لا للتلبيس ، وفيه معانى النور لا معانى الظلمة ؛ وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل فاذا نافق فقد كذب ؛ والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التبيين فاذا نافق فقد كذب وغش وخان .

وما معنى العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة فى الناس دهراً بعد دهر ، ينطقون بكلمتها ويقومون بحجتها ، ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النور ، تحويه فى نفسها وتلقيه على غيرها فهى أداة لإظهاره وإظهار جماله معا .

أتدرى يا ولدى ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف ؟ إن أولئك فى أخلاقهم كاللوح من البلور يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية ، وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير

(١) توفى سنة ٧١٧ هـ (٢) كانت وفاته سنة ٧٠٢ (٣) توفى سنة ٧١٠

قالت : « أبدا . . أبدا . . قوى جداً . . كسيد نصير »

قلت : « عجيب هذا . . »

فقالت : « كتبك كلها عندنا تراها فى كل غرفة . . »

فسألتها : « أهى حسنة التجليد ؟ »

قالت : « لا . . كما اشتريناها . . كل بناتى وأحفادى يقرأونها ويحملونها معهم حيثما يكونون »

قلت : « شىء جميل »

فقالت : « أوه . . لشد ما يفرحون الليلة حين أقول لهم إنى كنت جالسة إلى جانب تيمور بك »

ابراهيم عبد القادر المازنى

حاشية — أرجو من الأستاذ تيمور بك أن يحول الى الثناء الذى يغلط به الناس كما حولت إليه حقه المازنى

وعالم السوء يفكر فى كتب الشريعة وحدها ، فيسهل عليه أن يتأول ويحتال ويغير ويبدل ويظهر ويخفى ، ولكن العالم الحق يفكر مع كتب الشريعة فى صاحب الشريعة فهو معه فى كل حالة يسأله : - ماذا تفعل وماذا تقول ؟

والرجل الدينى لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت ولا يجىء كل يوم من حوادث اليوم ، فهو بأخلاقه كلها لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها ، ولن تراه مع ذوى السلطان وأهل الحكم والنعمة كعالم السوء هذا الذى لو نطقت أفعاله لقالت لله بلسانه : هم يعطوننى الدراهم والدنانير فأين دراهمك أنت ودنانيرك ؟

إن الدينار يا ولدى اذا كان صحيحا فى أحد وجهيه دون الآخر أو فى بعضه دون بعضه فهو زائف كله . وأهل الحكم والجاه حين يتعاملون مع أمثال هؤلاء يتعاملون مع قوة الهضم فيهم . . . فينزلونهم بذلك منزلة البهائم تقدم أعمالها لتأخذ لبطونها . والبطن الآكل فى العالم السوء يأكل دين العالم فيما يأكله . . .

فاذا رأيت لعلماء السوء وقارا فهو البلادة ، أو رقة فسمها الضعف ، أو محاسنة فقل انها النفاق ، أو سكوتا عن الظلم فتلك رشوة يأكلون بها

***

قال الامام وما رأيت مثل شيخى سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام (١) . فلقد كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شيئاً تصنعه طبيعته كما يصنع جسمه الحياة ، فلا يبالى هلك فيه أو عاش إذ هو فى الدم كالقلب لا تناله يد صاحبه ولا يد غيره . ولم يتعلق بمال ولا جاه ولا ترف ولا نعيم ، فكان تجرده من أوهام القوة قوة لا تغلب . وانتزع خوف الدنيا من قلبه فعمرته الروح السماوية التى تخيف كل شىء ولا تخاف ؛ وكان بهذه الروح كأنه تحويل وتبديل فى طباع الناس حتى قال الملك الظاهر بيبرس وقد رأى كثرة الخلق فى جنازته حين مرت تحت القلعة : الآن استقر أمرى فى الملك ، فلو أن هذا الشيخ دعا الناس إلى الخروج على لانتزع منى المملكة

(١) هو الامام العظيم شيخ الاسلام عبد العزيز بن عبد السلام بركة الدنيا فى عصره توفى سنة ٦٦٠

وكان سلطانه فى دمشق الصالح اسماعيل ، فاستنجد بالافرنج على الملك نجم الدين أيوب سلطان مصر ؛ فغضب الشيخ وأسقط اسم الصالح من الخطبة وخرج مهاجراً ، فأتبعه الصالح بعض خواصه يتلطف به ويقول له : ما بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وأكثر مما كنت عليه إلا أن تتخشع للسلطان وتقبل يده . فقال له الشيخ : يامسكين أنا لا أرضى أن يقبل السلطان يدى . أنتم فى واد وأنا واد :

ثم قدم إلى مصر فى سنة ٦٣٩ فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب وتحفى به وولاه خطابة مصر وقضاءها . وكان أيوب ملكا شديد البأس لا يجسر أحد أن يخاطبه إلا مجيباً ، ولا يتكلم فى أحد بحضرته ابتداء ؛ وقد جمع من المماليك الترك مالم يجتمع مثله لغيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء عسكره منهم وهم معروفون بالخشونة والبأس والفظاظة والاستهانة بكل أمر . فلما كان يوم العيد صعد إليه الشيخ وهو يعرض الجند ويظهر ملكه وسطوته والأمراء يقبلون الأرض بين يديه ؛ فناداه الشيخ بأعلى صوته ليسمع هذا الملأ العظيم : ياأيوب ! ثم أمره بابطال منكر انتهى إلى علمه فى حانة تباع فيها الخمر . فرسم السلطان لوقته بابطال الحانة واعتذر إليه

فحدثنى الباجى قال : سألت الشيخ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبر فقلت ياسيدى كيف كانت الحال ؟

قال يا بنى رأيته فى تلك العظمة فخشيت على نفسه أن يدخلها الغرور فتبطره ، فكان ما باديته به

قلت : أما خفته ؟

قال : يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فكان السلطان أمامى كالقط (١) . ولو أن حاجة من الدنيا كانت فى نفسى لرأيته الدنيا كلها ؛ بيد أنى نظرت بالآخرة فامتدت عينى فيه إلى غير المنظور للناس ، فلا عظمة ولا سلطان ولا بقاء ولا دنيا ، بل هو لا شىء فى صورة شىء

نحن ياولدى مع هؤلاء كالمعنى الذى يصحح معنى آخر ، فاذا أمرناهم فالذى يأمرهم فينا هو الشرع لا الانسان . وهم قوم يرون لأنفسهم الحق فى إسكات الكلمة الصحيحة أو

(١) هذه كلمات الشيخ بحروفها

طمسها أو تحريفها ؛ فما بدٌّ أن يقابَلوا من العلماء والصالحين بمن يرون لأنفسهم الحق فى إنطاق هذه الكلمة وبيانها وتوضيحها . فاذا كان ذلك فهنا المعنى بإزاء المعنى . فلا خوف ولا مبالاة ولا شأن للحياة والموت

وإنما الشر كل الشر أن يتقدم إليهم العالم لحظوظ نفسه ومنافعها فيكون باطلا مزوّراً فى صورة الحق وههنا تكون الذات مع الذات فيخشع الضعف أمام القوة ، ويذل الفقر بين يدى الغنى ، وترجو الحياة لنفسها وتخشى على نفسها فإذا العالم من السلطان كالخشبة البالية النخرة حاولت أن تقارع السيف

كلا يا ولدى ! إن السلطان والحكام أدوات يجب تعيين عملها قبل إقامتها . فإذا تفككت واحتاجت إلى مسامير دقت فيها المسامير . وإذا انفتق الثوب فمن أين للإبرة أن تسلك بالخيط الذى فيها إذا هى لم تخزه ؟

إن العالم الحق كالمسمار ؛ إذا أوجد المسمار لذاته دون عمله كفرت به كل خشبة . . .

***

قال الامام تقى الدين : وطغى الأمراء من المماليك وثقلت وطأتهم على الناس ؛ وحيثما وجدت القوة المسلطة المستبدة جعلت طغيانها واستبدادها أدباً وشريعة ؛ إلا أن تقوم بإزائها قوة معنوية أقوى منها . ففكرّ شيخنا فى هؤلاء الأمراء وقال إن خداع القوة الكاذبة لشعور الناس باب من الفساد ؛ إذ يحسبون كل حَسَن منها هو الحَسَن وإن كان قبيحاً فى ذاته ولا أقبح منه ؛ ويرون كل قبيح عندها هو القبيح وإن كان حَسناً ولا أحسن منه

وقال : ما معنى الأمارة والأمراء ؟ وإنما قوة الكل الكبير هى عماد الفرد الكبير ، فلكل جزء من هذا الكل حقه وعمله . وكان ينبغى أن تكون هذه الامارة أعمالا نافعة قد كبرت وعظمت فاستحقت هذا اللقب بطبيعة فيها كطبيعة أن العشرة أكثر من الواحد ، لا أهواء وشهوات ورذائل ومفاسد تتخذ لقبها فى الضعفاء بطبيعة كطبيعة أن الوحش مفترس

وفكر الشيخ فهداه تفكيره إلى أن هؤلاء الأمراء مماليك ، فحكم الرق مُسْتَصْحَب عليهم لبيت مال المسلمين ويجب شرعاً بيعهم كما يباع الرقيق

وبلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطب عليهم ؛ ثم احتدم الأمر وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضى ابن عبد السلام

وأفتى الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة ، وأنه لا يصحح لهم شيئاً من هذا حتى يباعوا ويحصل عتقهم بطريق شرعى

ثم جعلوا يتسببون الى رضاه ويتحملون عليه بالشفاعات وهو مصر لا يعبأ بجلالة أخطارهم ولا يخشى اتسامه بعداوتهم ، فرفعوا الأمر الى السلطان فأرسل اليه فلم يتحول عن رأيه وحكمه

واستشنع السلطان فعله وحنق عليه وأنكر منه دخوله فيما لا يعنيه وقبح عمله وسياسته وما تطاول إليه وهو رجل ليس له الا نفسه وما تكاد تصل يده الى ما يقيمه ، وهم وافرون وفى أيديهم القوة ولهم الأمر والنهى

وانتهى ذلك الى الشيخ الامام فغضب ولم يبال بالسلطان ولا كبر عليه إعراضه ، وأزمع الهجرة من مصر فاكترى حميرا أركب أهله وولده عليها ومشى هو خلفهم يريد الخروج الى الشام . فلم يبعد الا قليلا نحو نصف بريد حتى طار الخبر فى القاهرة ففزع الناس وتبعوه لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا صبى ، وسار فيهم العلماء والصلحاء والتجار والمحترفون كأن خروجه خروج نبى من بين المؤمنين به . واستعلنت قوة الشرع فى مظهرها الحاكم الآمر من هذه الجماهير ، فقيل للسلطان : إن ذهب هذا الرجل ذهب ملكك

فارتاع السلطان فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضاه ويستدفع به غضب الأمة ، وأطلق له أن يأمر بما شاء وقد أيقن أنه ليس رجل الدينار والدرهم والعيش والجاه ، ولبس طيلسان العلماء كما يلصق الريش على حجر فى صورة الطائر

ورجع الشيخ وأمر أن يعقد المجلس ويجمع الأمراء وينادى عليهم للمساومة فى بيعهم وضرب لذلك أجلا بعد أن يكون الأمر قد تعالمه كل القاهرة ليتهيأ من يتهيأ للشراء والسوم فى هذا الرقيق الغالى

***

وكان من الأمراء المماليك نائب السلطنة فبعث الى الشيخ يلاطفه ويسترضيه فلم يعبأ الشيخ به . فهاج هائجه وقال :

كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادى علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض ؟ وما الذى يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه ؟ إنه يفقد مالا يملك ويفقد غير الموجود ، فلا جَرَمَ لا يبالى ولا يرجع عن رأيه مادام هذا الرأى لا يمر فى منافعه ولا فى شهواته ولا فى أطماعه كالذين نراهم من علماء الدنيا . أما والله لأضربنه بسيفى هذا فما يموت رأيه وهو حى .

ثم ركب النائب فى عسكره وجاء الى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب

فخرج ابنه عبد اللطيف ورأى ما رأى فانقلب الى أبيه وقال له : انج بنفسك ، إنه الموت ، وإنه السيف ، وإنه وإنه

فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير بل قال له : يا ولدى ! أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت فليس فيه الانسانى بل الالهى ؛ ونظر الى نائب السلطنة وفى يده السيف ؛ فانطلقت أشعة عينيه فى أعصاب هذه اليد فيبست ووقع السيف منها

وتناوله بروحه القوية فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ

وأخذ النائب يبكى ويسأل الشيخ أن يدعو له ؛ ثم قال : ياسيدى ما تصنع بنا ؟

قال الشيخ : أنادى عليكم وأبيعكم

— وفيم تصرف ثمننا ؟

— فى مصالح المسلمين

— ومن يقبضه ؟

— أنا

وكان الشرع هو الذى يقول (أنا) ، فتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً واشتط فى ثمنهم لا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ . وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه . . .

ودمغ الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة على الناس بهذه الكلمة التى أعلنها الشرع :

أمراء للبيع ! أمراء للبيع . . .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

القاهرة المعزية

ووجوب الاحتفاء بعيدها الألفى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

تقترب القاهرة المعزية من عيدها الألفى دون أن يثير ذلك فى دوائرنا الرسمية أو الأدبية كبير صدى ؛ ومن الغريب أن بعض الأجانب الوافدين الذين يكتبون عن بلادنا الفصول والملاحظات الطائرة لم يفتهم أن ينوهوا فيما يكتبونه عن القاهرة بأنها مدينة ألفية ، وأنها موطن الجامعة الألفية الوحيدة فى العالم ؛ ذلك أن هذه الحقيقة التاريخية تثير حقاً أعظم إهتمام من كل أولئك الذين يضطرمون إعجاباً بعظمة التراث الحافل ، ويحنون رؤوسهم إجلالا لروعة التاريخ

وإذا كانت القاهرة ليست هى المدينة الألفية الوحيدة بين حواضر العالم القديم ، وإذا كانت أثينة ورومة والاسكندرية وقسطنطينية تشاطرها هذا الفخر وتفوقها فى مداه ، بل تشاطرها هذا الفخر حواضر إسلامية أخرى مثل بيت المقدس ، ودمشق ، وبغداد ، فإنها مع ذلك تمتاز على هذه الحواضر جميعاً بأنها تمثل أروع عصور التاريخ جنباً إلى جنب ؛ فالآثار الفرعونية الباهرة التى تغيض فيما وراء القرون تشرف عليها مجللة بروعة الخلود ، وآثار العصور الاسلامية المختلفة تنبث فى جنباتها وتسبغ عليها لوناً إسلامياً عميقاً وتزينها بكل ما ازدانت به هذه العصور المجيدة من فن وروعة وبذخ ؛ ثم أن بشائر العصر الحديث وأمارات الحضر الناضج ، وكل ألوان الحضارة المعاصرة بما فيها من تطور وتجديد وابتكار ، تطبعها بطابعها القوى ، فهى من هذه الناحية من أجمل وأحدث العواصم القديمة ، بل هى تفوق من هذه الناحية عواصم العالم القديم : رومة وأثينة وقسطنطينية ، ومع ذلك فان هذا التجدد السريع لم يجردها من جلالها القديم ، ولم يخلع عنها تلك الروعة التى يسبغها تعاقب الأحقاب على الحواضر التالدة

وفى وسع القاهرة أن تتيه على عواصم العالم القديم كلها بتراثها الأثرى والفنى الباهر ؛ ذلك أنها فضلا عما يحتويه متحفها الفرعونى الشهير من الكنوز الرائعة التى لا تضارعها أية كنوز أثرية أخرى ، تحتفظ بأعظم مجموعة من آثار العصور الوسطى يمكن أن تفخر بها مدينة عظيمة ومنها آثار المدينة الألفية القديمة التي ما زالت ماثلة إلى يومنا

والقاهرة ليست مدينة عظيمة فقط ، وإنما هى كباقى حواضر العالم القديم عنوان حضارة ومجمع تاريخ ؛ وتاريخ الأمصار العظيمة من أهم النواحى فى تاريخ الحضارات والدول ، ولاسيما فى العصور الوسطى ، حينما كانت حياة المدينة ترتبط أشد الارتباط بمصاير حضارة أو دولة معينة . وإذا كان تاريخ أثينة والمجتمع الأثينى يعنى تاريخ اليونان القديم دولة وحضارة ، وإذا كان تاريخ رومة ومجتمعاتها فى عصور الجمهورية والامبراطورية ، هو تاريخ الرومان والحضارة الرومانية ، وإذا كان تاريخ قسطنطينية فى العصور الوسطى ، هو تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها ، فان تاريخ القاهرة وتاريخ أسرها الملوكية ومجتمعاتها الرسمية والشعبية هو تاريخ مصر الاسلامية وتاريخ حضارتها فى العصور الوسطى

***

ولا ريب أن العيد الألفى لمصر من الأمصار التالدة أو منشأة من المنشآت الجليلة هو من الحوادث القومية العظيمة التى يحق للأمم أن تفخر بها وتعتز ؛ ذلك أن هذه الأعياد الألفية ليست من الاحداث العادية فى تورايخ الأمم ، بل هى بالعكس احداث فريدة نادرة ، ومثولها فى تاريخ أمة من الأمم دليل على عراقة هـذه الأمة فى ماضيها وحضارتها ودليل على ما تمتاز به من الحيوية والصفات الأزلية ؛ ومصر أمة أزلية بلا ريب ، وهى من هذه الوجهة تستطيع أن تتيه على أمم الأرض جميعا بما حباها الله به من صفات الأزلية والخلود التى ترجع بها إلى ما قبل عصور التاريخ ؛ وتتخذ الأمم العظيمة من الاشادة بهذه الذكريات والخواص الأزلية وسيلة للدعاية ، وتحيطها بأعظم مظاهر التكريم ، وتتبع فى ذلك سياسة ثابتة تقوم على تنفيذها هيئات خاصة يقظة لكل ما يجد من هذه المناسبات؛

وقد تضع هـذه الهيئات برامجها وتبدأ استعداداتها للاحتفاء بأحدى الذكريات القومية العظيمة قبل وقوعها بأعوام عديدة ، فاذا حل موعد الذكرى كانت الاحتفالات العظيمة والمهرجانات الباذخة والمظاهرات القومية الرائعة التى تحج اليها الوفود من كل صوب ، والتى تتخذ وسيلة للدعاية الواسعة فى سائر الأقطار الأخرى

ولن يمض سوى القليل حتى تواجه مصر عيدين من أجل الأعياد القومية : هما العيد الألفى لقيام القاهرة المعزية ، والعيد الألفى للجامع الأزهر ؛ فماذا فعلت دوائرنا الرسمية والعلمية للاحتفاء بهذين الحادثين العظيمين ؛ أكبر الظن أنه لم تتخذ حتى الآن أية خطة رسمية مقررة فى هذا الشأن سوى مارددته مشيخة الأزهر منذ ثلاثة أعوام فى شأن الاحتفال بعيد الأزهر ، ثم انقطع صداه بعد حين ؛ وأكبر الظن أنه سيمضى حين آخر قبل أن توضع برامج أو تقرر اعتمادات أو تتخذ أهبات فى هذا السبيل ؛ فاذا وفقت الجهات المختصة إلى اتخاذ أية خطوة عملية كان ذلك بعد فوات الوقت أوفى آخر لحظة ، وعندئذ يجىء الاحتفال خلواً من الروعة التى يجب أن تحاط بها مثل هذه المناسبات

والواقع أن ما تبقى من الوقت بيننا وبين هذين العيدين الجليلين لايكاد يكفى لاتخاذ أهبات غير عادية ؛ فليس بيننا وبين عيد القاهرة الألفى الذى يقع فى شعبان سنة ١٣٥٨ سوى ثلاثين شهراً ؛ ويقع العيد الألفى للأزهر بعد ذلك بعدة أشهر فى جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ ؛ بيد أنه مازال ثمة متسع من الوقت يكفى للعمل الجدى المتواصل فى سبيل تنظيم الاحتفاء القومى بهذين العيدين فى نوع من الفخامة والجلال

***

ولقد كانت القاهرة المعزية منشأة فاطمية ، نمت وترعرعت فى كنف الدولة الفاطمية الباذخة ، وشهدت فى ظلها ألوانا ساحرة من الفخامة والبذخ والبهاء ، يقصها عليك المؤرخون المعاصرون مثل المسبحى وابن الطوير وابن المأمون ؛ وكان الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليانع ، بل كان أينع ماغرست دولة اسلامية ، وأعظمه قدراً ، وابعده أثراً ، وأبقاه على كر

العصور ؛ ولقد قامت الخلافة الفاطمية بمصر بعد قيام القاهرة والجامع الأزهر بقليل ، فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ (يونية سنة ٩٧٣ م) حينما قدم المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بأهله وماله إلى القاهرة عاصمته الجديدة ؛ ففى أعوام قلائل يكون قد مضى ألف عام على قيام الخلافة الفاطمية بمصر ، وقد كانت هى الخلافة الإسلامية المستقلة الوحيدة التى قامت بمصر الاسلامية ، وعاشت فى ظلها أكثر من قرنين

أفلا يجمل أيضا أن نحتفى بذكرى الخلافة الفاطمية منشئة القاهرة والجامع الأزهر لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بمصر ؟

إن ذكرى الخلافة الفاطمية ترتبط أشد الارتباط بذكرى القاهرة والأزهر حتى إنه ليصعب أن نحتفى بعيديهما دون أن تشغل ذكرى الخلافة الفاطمية مكانتها فى هذين العيدين ؛ ولن يكون للإشارة بهذه الذكرى سوى معناها التاريخي الجليل ، ولن تحيط بها أى اعتبارات دينية أو مذهبية ؛ ونذكر للتنويه بهذا المعنى التاريخي الجليل ، أن اسبانيا النصرانية لم تر بأساً من الاحتفاء بذكرى الخلافة الاسلامية ؛ فى سنة ١٩٢٩ احتفلت جامعة قرطبة بذكرى الخلافة الاسلامية لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بقرطبة ؛ وقد كان قيام الخلافة الاسلامية فى قرطبة كما نعرف سنة ٣١٧ هـ الموافقة لسنة ٩٢٩ ميلادية ، وكان أول خلفاء الأندلس من بنى أمية عبد الرحمن الناصر ، وهذه الذكرى التاريخية الجليلة هى التى احتفلت بها جامعة قرطبة فى سنة ١٩٢٩ ، وكان لتصرفها أجمل وقع فى العالم الاسلامى

ولقد جرت مصر الفتية الناهضة على انتهاز كل الفرص والمناسبات العلمية والاجتماعية الدولية والاشتراك فيها ، والاعلان عن نفسها بأحسن ما تعلن أمة حديثة ناهضة ؛ وهى تلبى كل عام عشرات الدعوات لشهود المؤتمرات والمعارض الدولية المختلفة والمهرجانات العلمية ولا تبخل فى ذلك السبيل بالانفاق لأنها تقدر كل ما تجنيه من الفوائد المعنوية والمادية من الاشتراك فى تلك الاجتماعات الدولية الكبيرة ؛ وقد كانت آخر مناسبة من هذا النوع اشتراكها فى معرض باريس الدولى ، وهو اشتراك اقتضت نفقاته الرسمية منها زهاء عشرين الف جنيه ؛ فهل تبخل مصر بأن ترصد مثل هذا المبلغ بل أن ترصد اضعافه للاحتفال بعيد القاهرة وعيد أزهرها الألفى ؟

ان اقامة مهرجان ألفى لمدينة القاهرة تحج اليه وفود الأمم من أنحاء الشرق والغرب يكون أعظم دعاية لمصر التالدة ومصر الفتية الحديثة معا ، وأعظم وسيلة للتعريف عن ماضيها الباهر وعظمتها السالفة ؛ وأن اقامة مهرجان ألفى للجامع الأزهر تشترك فيه وفود الجامعات والهيئات العلمية من جميع الأمم يكون مظاهرة اسلامية علمية رائعة للاعلان عن الدور العظيم الذى أدته الجامعة الألفية فى تكوين التفكير الاسلامى لا فى مصر فقط ولكن فى العالم الاسلامى كله ، وعن الصرح العلمي العظيم الذى كان الازهر قوامه والذى لبث ملاذ التفكير الاسلامى والآداب العربية قرونا مديدة ولا سيما فى عصور الاستعباد والانحلال الفكرى والاجتماعى

تلك دعوتنا المتواضعة نرسلها للمرة الثانية راجين أن تجد صدى قويا فى دوائرنا الرسمية والعلمية ، فتعمل على تحقيق هذه الأمنية القومية الكبرى بكل ما يجب لها من روعة وجلال

محمد عبد الله عنان

في الأدب المقارن

الوصف

في الأدبين الغربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

الوصف من صميم الفن ولباب الأدب وأدل ضروب القول على صدق الشعور وذكاء القلب ، إذ أن روائع المشاهدات وطرائف المحسوسات وجديد المرئيات من أشد الأمور تأثيراً في نفس الأديب ، واستجاشة له إلى التأمل ، ودفعاً له إلى القول ؛ وليس خير الوصف ما أحاط بكل حقائق الموصوف وأحصى كل دقائق أجزائه ، كما تحصي الصورة الشمسية كل صغيرة وكبيرة من الشيء المصور ، وإنما خير الوصف ما أظهر المهم الرائع من أجزاء تلك الصورة ، وأبان عن أثرها في النفس ، وما تبعثه فيها من ذكريات وأطياف وأشجان وإطراب ، وارتحال الأديب من صقع إلى آخر ، ومن بلد إلى سواه ومن دواعي لجوئه إلى الوصف ، يعرض فيه ما يتوالى على عينيه وحواسه من آثار ومظاهر ؛ ومن ثم كانت الرحلة من أهم الأحداث في حياة الأديب بل من أهم مكونات شخصيته .

والوصف من أشد آثار الأدب امتاعا للنفس واستدعاء لانتباهها وإرضاء لغرائزها : إذ هو يرضي من الانسان غريزة التقليد والحكاية اشتى المرئيات والمحسوسات ، ويروي منه الميل إلى إحساس صدى عواطفه لدى الآخرين ، فهو يستريح إلى الأديب الذي يصف من المشاهدات ويروي من الاحساسات ما قد يكون القارىء مر به في مختلف أطوار حياته . والوصف أيضا يحرك الخيال ويمتعه ويفسح له مجال العمل ، ويبعد به وراء حدود الحياة اليومية الحاضرة . ومن ثم نرى البيت أو البيتين يعرضان في القصيدة الطويلة مشتملين على وصف رائع لمنظر أو حادث أو إحساس ، فيكونان غرة القصيدة وأحب أبياتها إلى النفوس .

ولما كان الوصف ضربا من القول فنياً صميما ، وكان يحتاج لتجويده إلى إطالة النظر وطول التقصي ورياضة الكلام ، وكانت موضوعاته أكثر من أن تعد وأوسع من أن تفنى ، كان الوصف يبلغ أوج ازدهاره حين يبلغ الأدب طوره الفني ، باستقرار الأمة وتحضر مجتمعها وذيوع الثقافة بين أبنائها ، واستعمال الكتابة الخطية وتوفر الفراغ للتروي والمعالجة والمعاودة للمنشآت الأدبية فالوصف من أهم أبواب القول التي تتسع وتترقى في طور الأدب الفني ذاك . ومصداق ذلك واضح في الأدب اليوناني قبل ازدهار الحضارة وبعده : ففي أشعار هوميروس لا يأتي الوصف إلا عرضاً ولا يوصف من الأشياء إلا ما دعت إليه الضرورة ، وأكثر الاهتمام مصروف إلى القصص ؛ فلما جاء شعراء الدرامة واستغلوا نفس موضوعات هوميروس أحياناً ، وشوها ببديع الأوصاف الفنية المقصودة لذاتها .

وفي الشعر العربي الجاهلي شذرات من الوصف رائعة ، إذ كان ذلك الشعر بلغ من الفنية حداً لا بأس به ؛ وكان لبعض الشعراء إلمام بالموصوفات يبدون فيه ما عرف به العربي من توقد القريحة ونفاذ البديهة وبلاغة الايجاز ؛ ولهم أوصاف حسنة لبعض أنواع الحيوان ولا سيما الجياد والابل والظباء ، وللبواقع والأطلال والأنواء ، وفي المعلقات نماذج لكل ذلك ممتعة ، حيث يصف كل من عنترة وامرىء القيس جواده ويصف لبيد ناقته ، ويصفون جميعاً أطلال ديار أحبتهم

ومن أجود أوصاف الحرب في الشعر الجاهلي قول القائل :

صريف أنيابها صوت الحديد إذا	قض الحديد بها أبناؤها الوقر
في جوها البيض والماذي مختلط	والجرد والمرد والخطية السمر
جاءت بكل كمي معلم ذكر	في كفه ذكر يسعى به ذكر
لهم سرابيل من ماء الحديد ومن	نضح الدماء سرابيل لهم أخر
مضاعفات عليهم يوم بأسهم	لونان جون وأخرى فوقهم حمر

وبانتشار الحضارة وذيوع الثقافة اتسع باب الوصف في العربية أعظم اتساع ، ووصف الشعراء مظاهر العمران والترف وقصور الملوك ومواكبهم وحدائقهم وجيوشهم وسفائنهم ، ووصفوا الخمر ومجالس الشراب والطرب ، ووصفوا الجواري والغلمان ، ووصفوا الصيد والسباق ، وأولع الجاحظ وبديع الزمان بوصف الأحوال الاجتماعية ، فصورا مناظر في الحمام وفي السوق ومواقف التخاصم والتقاضي ، وأجريا الحوار بين شتى الأشخاص عالبهم وسافلهم . واشتهر أبو نواس بوصف الخمر ، والبحتري بوصف القصور ، والمتنبي بوصف الحروب ، وابن الرومي بوصف الفواكه والمآكل وتصوير الشخصيات الهزلية ولما تغلبت الصناعة وطلبت البراعة اللفظية والنكتة المعنوية

والتأنق والتظرف ، انعدم الحس أو كاد فى الوصف ، وتعلق الأدباء بوصف توافه الأشياء كالمحبرة أو الاسطرلاب أو القلم أو الكأس ، أو ماشابه ذلك مما هو فى غنى عن الوصف ، وما وصفه إلا تحصيل حاصل وإضاعة وقت ، فان الأصل فى الوصف الفنى كما تقدم أن يكون له باعث من شعور صميم ، لا أن يكون الغرض منه حكاية تفاصيل باردة فاترة . وقد أولع بذلك الضرب من الوصف النظرى ابن المعتز وابن خفاجة وكشاجم ؛ فلما أوغل الأدب فى التصنع وجانب الأدباء كل ذوق وكل معقول فى التعمل والإغراب ، انقلب الوصف فى أيدى أكثرهم إلغازاً ، فألغزوا فى أنواع المآكل والأسماء والآلات ، وبأمثلة هذا الضرب من الاحاجى السقيمة تمتلىء مقامات الحريرى وأشعار ابن نباتة المصرى وأضرابه

والأدب الانجليزى حافل منظومه ومنثوره بمحاسن الأوصاف؛ بيد أن باب الوصف فيه مخالف للوصف فى الأدب العربى من وجوه شتى : فهما مختلفان فى الموضوعات التى اتخذها كل منهما مادة وأدمن طروقها ؛ فقد تناول الأدب العربى — كما تقدم — وصف أنواع من الحيوان ، ووصف مظاهر اللهو والرفاهية ، وتناول بعد ذلك قليلا من وصف الطبيعة والمجتمع ؛ أما الأدب الانجليزى فهو أحفل بوصف هذين الأخيرين منه بوصف أى شيء آخر ، فالطبيعة كانت قبلة أكبر شعرائه وكتابه وشغلهم الشاغل ، ووصفها كان دأبهم أيا طرقوا من موضوعات القول ، فامتلأ الأدب الانجليزى بكنوز من أوصاف الطبيعة ، تكاثر ماقيل فى أى باب آخر من أبواب الشعر والنثر ؛ فالوصف الطبيعى مادة جانب عظيم من الشعر الانجليزى ، كما أن الوصف الاجتماعى مادة جانب عظيم من القصص والدرامات

وفى الأدب الانجليزى ضرب آخر من الوصف يستأثر به دون الأدب العربى ، على أنه من صميم الفن وأعلق نواحيه بالانسانية الشاملة والشعور العميق ، ذلك هو وصف آثار الأقدمين من عمائر وحصون وتماثيل وصور وأبناء وعظائم ، ففى ذلك كله منادح للخيال ومجال للابتداع ومذاهب للفكر ، وتأملات فى أحوال الانسان وتقلب العصور والأحداث ، وتعظيم لقدرة الانسان وتقدير للفنون ، وكل ذلك يكاد يكون معدوماً فى الأدب العربى ، والمثل الرائع الفريد فى هذا الباب هو سينية البحترى التى لو كثرت مثيلاتها فى الأدب العربى لكان أرفع قدراً ، وكان أعلامه أسير فى العالمين ذكرا

ولم يقتصر أدباء الانجليزية على آثار التاريخ يستوحونها ما فيها من منادح الوصف الشائق والتصوير المجسم ، بل عمدوا إلى الخرافة ولعلها أحفل بذلك من التاريخ ، إذ كانت أحفل منه بآثار الخيال وأحلام الانسانية ومثلها العليا فى القوة والجمال والسعادة ، فاتخذ الشعراء والقصاصون تلك الخرافات مادة وهيكلا لمنشآتهم ، ورصعوها بما شاءت لهم براعتهم من أوصاف ووجدوا فى أشعار هوميروس وفرجيل وقصص العصور الوسطى وأساطير الشرق والغرب مجالا لفنهم ، فأعادوا سرد ما راعهم من حوادثها ومواقفها سردا فنيا مسهب الوصف مشبعا بجميل المناظر والعواطف .

وكما يختلف الوصف فى الانجليزية عنه فى العربية فى الموضوع اختلافا كبيراً ، يخالفه فى الوسيلة مخالفة معدودة ، ففى العربية أوصاف بالغة من الكمال والامتاع ، بيد أنها جميعاً تعتمد على المعنى دون اللفظ ، وعلى التشبيهات والمجازات ، وتحتوى على كأن أو كاف التشبيه ظاهرة أو مستترة ، أما فى الانجليزية فيستعين الشعراء بجانب هاتيك جميعاً على وسيلة أخرى ، ليست أقل أداء للغرض وتصويراً للمنظر وإشباعا للخيال والحواس ، تلك هى الملاءمة بين صوت اللفظ وبين المعنى المصوغ فيه

وهذه الطريقة التى يلجأ إليها الانسان عمدا وعن وعى فى طور الأدب الفنى ، قد لجأ إليها فى عهوده البدائية ، أيام كان يصوغ ألفاظ لغته ويطلق كلا منها على كائن من الكائنات ، أو صوت من الأصوات ، أو عمل من الأعمال ، أوغير ذلك . فالفاظ الرشاش والشواظ والسلسبيل والسكون وغيرها ، تدل بنطقها على مدلولها لأن الأقدمين إنما اشتقوها من هيئة مدلولاتها ، فعلوا ذلك عفوا وبداهة ، حتى إذا ما بلغ الأدب الطور الفنى واستعان الشعراء والكتاب بالتدوين وأطالوا التجويد لما ينشئون استرعت الألفاظ انتباههم بعد أن كان جل اهتمامهم موجها إلى المعانى؛ وعند هذا الحد من التطور افترق الأدبان العربى والانجليزى فى طريقة استخدام الألفاظ . فأما الأدب العربى فجعل اللفظ غاية فى ذاته ، وجعل التأنق فيه مطمحا مستقلا ، وأما الأدب الانجليزى فعالج اللفظ وراضه وتانق فى صياغته ، ولكن لا على أنه غاية فى نفسه ، بل على أنه وسيلة للمعنى لا أكثر

فاذا كان فى المنظر المراد تصويره حركة كجريان نهر أو عدو جواد ، استخدم الشاعر الانجليزى بحراً من بحور الشعر يلائم تلك الحركة ، وإذا كان به صوت أو أصوات مختلطة كهدير الأمواج أو قصف المدافع ، اختار من الألفاظ تلك التى تحتوى على حروف خشنة قوية ، وإذا كان يصف منظراً ساكناً وادعا

لم يذكر ذلك فى القصيدة ذكراً، وإنما استعمل الألفاظ ذات الحروف اللينة كالسين مثلا، وهناك عدا هذا وذاك ضروب شتى من الملاءمة بين الصيغة والمعنى يفتن فيها الشاعر الوصاف ماشاء له فنه، ككثرة العطف أو القطع، وتكرار الحروف أو الكلمات أو التراكيب أو الشطور أو الأبيات الكاملة. وقد اشتهر بالتفنن فى هذا التصوير اللفظى تنيسون وسبنسر وملتون، بل سائر أقطاب الشعر الانجليزى، بل جاراهم فى ذلك بعض الكتاب مثل ستيفنسون

وقد وقع شىء من ذلك فى بعض أشعار الوصف فى العربية، ولكنه كان إلهاماً محضاً أو اتفاقا عارضاً ساقت الشاعر إليه الصدفة السعيدة أو السليقة المجيدة، دون أن يتعمده عن وعى أو يتكلف فيه عناء كالذى تكلفه فى استخراج مابه من تشبيه ومجاز. ويتجلى الفرق بين الأدبين فى هذا الصدد فى علم البديع فيهما: فالبديع فى العربية يشمل الجناس والسجع وهلم جرا، وهى محسنات للفظ مستقلا بنفسه وليست لها علاقة بالمعنى، أما علم البديع فى الانجليزية فيشمل الملاءمة بين جرس الألفاظ وبين المعانى التى تؤديها، ويشمل تشابه الحروف الأولى فى جميع ألفاظ الجملة الواحدة لأداء المعنى بطريق الجرس أيضاً، وغير ذلك من حيل بلاغية ليست لها مصطلحات تترجم إليها فى العربية، لأنها لم تكن من مألوف أدبائها (١)

واللغة العربية بغزارة مادتها وتلاطم عبابها وتعدد أوزانها وقوافيها، وجمعها بين وعر الألفاظ ولينها، ودقيق الأوصاف وجليلها، وما لها من مرونة فى التراكيب ورحب فى الأساليب ومطاوعة لفن الأديب، هى خير معوان له على إبراز شتى الصور من جرس الحروف وتتابع الألفاظ وتجاور التراكيب، وتدفع الأوزان ورنين القوافى. انظر إلى الوزن كيف ساعد على إبراز المعنى فى قول بشار فى صوت مغنية:

تميت به أرواحنا وقلوبنا   مرارا وتحييهن بعد هجود

وقول ابن المعتز فى خيل السباق:

خرجن وبعضهن قريب بعض   سوى فوت العذار أو العنان
ترى ذا السبق والمسبوق منها   كما بسطت أناملها اليدان

ساعدت السليقة المواتية أو الجد الموفق بشارا، فجاء بيته ذاك ببحره الطويل وحروف اللين المتتالية الوئيدة الحركة فى « تميت » و « أرواحنا » و « قلوبنا » و « مرارا » و « تحييهن » و « هجود » أصدق مصور لصوت المغنية إذا هى مددته وخالفت بين المدات فيه والقصرات، ويبدو ذلك جلياً إذا قرىء البيت على مهل.

كذلك حالف التوفيق ابن المعتز فاختار لبيتيه البحر الوافر المتدفق تدفق الخيل فى مجالها، وحالفه التوفيق مرة أخرى فذكر العذار والعنان، وفضلا عن أن تتابع هذين اللفظين مما يزيد الحركة جلاء فإن ذكرهما مما يزيد الصورة تجسما، فإن ذكر جزء من الصورة دون بقية الأجزاء كثيرا ما يزيد الصورة وضوحا، ويبعث من تلقاء نفسه باقى الأجزاء إلى الخيال. ولذلك مثال آخر فى قول جميل:

ولما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطى الأباطح

فذكر الأعناق هنا بلاغة فائقة، فهو يستتبع إلى المخيلة منظر الابل والأباطح والركب، ويرسم حركة المطى معا. ومما يزيد الحركة تصويرا أيضاً اختيار الشاعر البحر الطويل البطىء النغم.

وهناك وسائل أخرى لتجسيم الحركة البطيئة، منها كثرة العطف ففيها دلالة على التطاول والتوانى، ومنها كثرة الألفاظ القصيرة فإنها تستغرق نفس القارىء حتى يكاد يلهث بعد قراءتها، ومن ثم يشعر بالبطء فى المعنى تبعاً للبطء فى اللفظ. ومثال الوسيلة الأولى قول امرىء القيس فى تطاول الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل

ومثال الثانية قول المتنبى:

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منــه زمازم

فقد احتوى بيت امرىء القيس على ثلاث جمل معطوفة، واحتوت الشطرة الأولى من بيت المتنبى على خمس كلمات كلها قصير، إذا قرأها القارىء متروياجاءت بطيئة مشعرة ببطء الجيش أو موحية بضخامته، فلم يذكر المتنبى صراحة ومباشرة أن الجيش كان « ضخما » فيعتمد على المعنى وحده فى إعطائنا الصورة، بل أوحى إلينا بمعنى الفخامة بوساطة كلمات الشرق والغرب والزحف، ولا علاقة لهذه الكلمات فى غير هذا البيت بالضخامة قط، وبذلك استخدم المتنبى اللفظ ونطقه لأداء المعنى وهى هى الوسيلة التى استغلها أدباء الانجليزية قصداً وعمداً أكبر استغلال وأبدعه.

أما الحركة السريعة فيؤديها البحر الكامل المتدفع، وهو لذلك خير ما يصور فيه عدو الجياد، كما فى قول المتنبى

أقبلت تبسم والجياد عوابس   يخببن بالحلق المضاعف والقنا

وقول ابن هانىء الأندلسى:

وفوارس لا الهضب يوم مغارها   هضب ولا الوعر الحزون حزون

ففى هذين البيتين تصوير رائع لعدو الخيل. وقد ساعد التوفيق

(١) ليس فى اللغات كلها أوسع ولا أدق من علم البديع فى اللغة العربية. والمحسنات المعنوية فيه ثلاثة أرباعه. والنوع الذى يصفه الكاتب الفاضل فى الانجليزية يشبه (ائتلاف اللفظ والمعنى) فى العربية (الرسالة)

الشاعرين فى ألفاظهما بجانب الوزن الذى اختاراه ، فتكرار حرف الباء فى بيت أبى الطيب مما يزيد وقع حوافر الخيل فى بيته جلبة ووضوحا ، وتكرار كلمتى الهضب والحزون فى بيت ابن هانىء يوحى إلى المخيلة تتابع الهضاب والروابى أثناء عدو الفوارس ، حتى يكاد يتخيل الانسان سيقان الخيل وهى تنهب تلك الحزون وتقفز من ربوة إلى ربوة . ويكاد البيت يعرض أمامك شريطاً سينمائيا متحركا ، ومتى بلغ الشاعر هذا المدى من دقة التصوير وروعته ، فقد أوفى على الغاية من الفن والشاعرية ، كذلك نرى الوزن واللفظ قد اصطلحا على إبراز المعانى فى قول مسلم بن الوليد فى مفازة :

تمشى الرياح بها حيرى مولهة حسرى تلوذ بأطراف الجلاميد

وقول ابن حمديس :

وراقصة لقطت رجلهـــا حساب يد نقرت طارها

وقول المتنى :

فى سعة الخافقين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل

فى بيت مسلم تكاد تحس الرياح المحرقة تلفح وجوهنا وتتمثلها تضرب جوانب الصخور ؛ وفى بيت الصقلى تتمثل حركة الراقصة السريعة الخاطفة ؛ وفى البيت الثالث تتمثل المتنى على ظهر ناقته وهى تخالف بين أظلافها ممعنة فى الذهاب ، لما يمتاز به بحر المنسرح من اضطراب الحركة واندفاعها ، على حين يمتاز بحر الخفيف بالتؤدة وزنة الحزن ، مما يجعله أليق البحور بالمراثى والوجدانيات ، وهو من أهم أسباب سماء الوقار والشجن التى تتسم بها دالية المعرى المشهورة التى مطلعها :

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد

وصفوة القول أن الأدبين العربى والانجليزى قد احتويا على بدائع من الوصف ، هى غذاء اللب ومتاع الخيال ؛ بيد أن آثارها فى الأدب الانجليزى أغزر ، ونواحيها أكثر تعددا ، ونصيب الطبيعة منها أوفر ، ووسائلها أكثر عددا واختلافا ، وأدباء الانجليزية كانوا أكثر بصرا بها وأطول رياضة لها ، وكان نجاحهم فيها راجعا إلى المجهود المتبصر الواعى ، بجانب الطبع الصادق المواتى على حين كان نجاح أدباء العربية الذى مرت بعض أمثلته راجعا فى أكثر الأحيان إلى عفو الخاطر وهداية البديهة ، وما ذاك إلا لأن أدباء الانجليزية كانوا أكثر عكوفا على فنهم ، وتفرغا لأدبهم ، على حين كان أدباء العربية يولون الأمراء وذوى الهبات من اهتمامهم وتفرغهم ما كان فنهم به أحق ، وشاعريتهم به أولى

فخرى أبو السعود

ثورة دجـــلة

للأستاذ على الطنطاوى

« ازدادت دجلة يومي الاربعاء والخميس ٣ ، ٤ صفر ١٣٥٥ زيادة هائلة لم تكن منتظرة ، وغدت بغداد عرضة للغرق بين كل لحظة وأخرى ، وسيق الناس كلهم للعمل على إقامة السدود ، ولم تغمض فى بغداد ليلة الخميس عين ... وكان شىء عظيم ... »

كانت تجرى فى الوادى حالمة سكرى ، غارقة فى بحر من الحب والشعر ، هادئة لا ترى فيها إلا آثار هذه القبل المعطرة المعسولة التى تطبعها الشمس على وجنتيها الصافيتين كل صباح ومساء ، تخطفها منها فى غفلة من الطبيعة ، فلا يبصرها إلا الشفق الذى يطل من نافذة الأفق يرميها بنظرة الكاشح الحاشد ، فيحمر وجه دجلة الفتاة من الخجل . وتغمض عينيها من الحياء ثم تسرع فى جريها . . .

وكانت تلتق بين ذراعيها العاشقين المدلهين ، كلما دجا الليل وأطفىء مصباح الكون ، وهم فى الزوارق ذوات الأجنحة البيض التى تشبه قلوبهم فى بياضها وخفقانها ، فتحدب عليهم ، وتحفظ أسرارهم ، وتمنحهم الخلوة الحلوة الآمنة ، تترع نفوسهم بالجمال والشعر ، حتى يغيبوا عن الوجود فى حلم فاتن بعيد . . .

وكانت تغضى عن هذا النخيل العاشق ، وقد تعانق كل زوجين منه ، وتلامسا بالشفاه ، واستسلما إلى الغيبة الهنيئة ، وعن هذه القصور التى تفيأت ظلاله ، سكرى بخمرة الجمال ، قد ضمت احناءها على حياة لذة وادعة ، ملؤها الحب . . .

وكانت دجلة جمال العراق ونعمته وحياته . . .

* * *

وكنت أذهب كل مساء ، إلى جسر مود ، انحدر إليه من الرصافة ، أمشى فى طريق ضيق ، كأنى أهبط وادياً من أودية بلادى الحبيبة ، ثم أصعد حتى أبلغ ضفة الكرخ ، فاسلك شوارع الصالحية ، حتى أصل إلى المطار . . . حيث أبقى ساعة شاخصا إلى الأفق البعيد أتبصر فيه طيف موطنى الأصغر(١) وأتحسس نسمه فأشم فيه شذا الغوطة ، وانشق ريا نشرها العطر ، وعرف آسها ونسرينها ، وفلها وياسمينها ، وزنبقها ونرجسها . . . حتى إذا قضيت

(١) أما موطنى الاكبر ، وموطن كل مسلم ، فكل بلد يقول أهله : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، سواء لدى أقالوها بالعربية أم باى لسان

من ذلك وطرآً ، عدت وقد خلا الجسر ، فحييت دجلة ، وصببت فى أذنيها آلامى وأحزانى ، واستمنحتها الراحة والاطمئنان ، ثم مضيت إلى وكرى المنعزل ، فى « الأعظمية » بنفس هادئة كدجلة مطمئنة كاطمئنانها . . .

* * *

وذهبت فى مساء الأمس ، كما كنت أذهب ، فاذا الأرض قد بدلت غير الأرض ، وإذا الجسر الذى كان واديا ننحدر إليه ، قد أمسى جبلا نتسلقه ، وصار أعلى من الشارع وقد كان تحته ، وإذا الناس يقبلون عليه ، فأقبلت معهم وعلى وجهى من الدهشة والحيرة مثل ما على وجوههم من الروعة والفزع ، ونظرت فاذا النهر الذى كان يجرى فى الأعماق هادئا متطامنا حالما ، يبدو كأنه صفحة المرآة ، لاتنداح عليه دائرة ، ولا تموج فيه موجة ، قد علا وارتفع وعاد ثائراً هائجاً فضاحا ، له هدير ودردرة ، قد علاه موج كالروابى . . . وإذا هو قد نسى سنه ووقاره . وأضاع حلمه وعلمه ، ورجع شابا مجنونا أهوج ، يقفز ويصرخ ، ويقرع الأرض بقدميه ، ويضرب بقبضته القويتين المخيفتين أبنية الشاطىء الآمن ، ويعبث بهذه الكرات الحديدية الضخمة ، التى أقيمت لتثبيت الجسر العائم والتى ترجح بالقناطير ، وتزن الصخور الجلاميد ، ويقذف بها هنا وهناك كما يقذف الصبى كرته . . . وإذا هو مرعب حقا ، يدخل الروع على أجلد الرجال . . .

وكانت الوجوه كالحة ، قد ارتسمت عليها سمات الذعر الشديد والماء يرتفع ، لم يبق بينه وبين الشاطىء إلا شبر واحد . لقد بلغ عمق المياه خمسة وثلاثين مترا وعشرين معشارا . . . وخمسين . . . إنه لايزال يرتفع . . . لقد صاقب الشاطىء . . . إن بغداد فى خطر !

* * *

وطارت كلمة الخطر على الألسنة ، ففزع الشعب ، واهتمت الحكومة ، ووضع قانون المساعدة الالزامية ، فابتدر الناس الشاطىء ، واستبقوا إلى العمل . . . يقيمون السدود ، ويضعون للمجنون القيود ، ولكن المجنون لايبالى بقيد الذباب . . . إنه يقتل أمة منها بضربة واحدة . . .

إن النهر(١) يقفز فى حبسه ويثب ، لقد جن : إنه يريد أن يخرج فينبعث فى الأرض ، يريد أن يمشى إلى هذه الجنات الظليلة ، التى طالما أمدها بالحياة ، وحمل إليها النعمة ، ليحمل إليها الموت !

وبدأ الصراع المهول بين الطبيعة والانسان . . . وامسى المساء على بغداد وهى قائمة على قدم وساق ، ليس فيها من يبيع أو يشترى أو يلهو أو يلعب ، أو يطعم أو يشرب . . ليس لها إلا غاية واحدة ، هى النجاة من الغرق . . .

وكنت قد بلغت منزلى فصعدت السطح ، فانحسرت أمامى صفحة دجلة ، وهى تلتوى من حول الأعظمية كالأفعى ، تطيف بها كالقضاء النازل ، وقد استرخت عند المنحنى وتمددت على الحقول والدور التى هجرها أهلوها ، فصار عرضها أكثر من ألفى متر . . . وصارت بحراً خضما ، ولكنه يركض دفاعا يحمل فى طياته الموت والغرق والخراب ، وكانت حمرة الشفق تخالط الماء ، فيلتهب فيبدو كأنه أتون مستعر ، أو كأنه جهنم الحمراء . . .

وبسط الليل ثوبه الأسود على الدنيا ، فأخفى تحته ثمانية وأربعين ألف شاب ، يشتغلون لينقذوا بغداد من الغرق المحقق ، من ورائهم أربعمائة ألف قلب ، تحوطهم بالرعاية والحب . . .

واستمر الصراع المهول . . .

* * *

وكان الناس من الفزع والذعر كأنهم فى يوم القيامة ؛ غير أن المرء فى يوم القيامة يجد مايشغله عن أمه وبنيه ، وصاحبته وأخيه ؛ وهنا أم حائرة مولهة قد ضاع منها ولدها فى وسط الزحمة فهى تعدو وتصيح من غير وعى لاتدرى أهو فى الأحياء ، أم افترسه هذا النهر الجبار . . . وهنا بنت تفتش عن أمها ، وولد ينادى أخاه ، وأسرة قد هيأت متاعها ووقفت على باب الدار تنظر الساعة الرهيبة التى يطغى فيها الماء فيدك أدوارها وما فيها ويدعها فقيرة مسكينة ، مسكنها الشارع ... وشباب عصفت النخوة برؤوسهم فهم يقدمون ، يتسابقون إلى الخطر ... وتلاميذ قد دفعتهم الحمية فأقبلوا يتبادرون الموت ، والجنود يعملون فى كل مكان بهمم الأسود ...

كان الصراخ يملأ الجو : هتاف الشباب ، وأنغام الجند ، وصياح النساء ، ونداء الأولاد ، والنهر فوق ذلك كله يهدر هديره المستمر المرعب ، فيكون له فى هذا الليل دوى مخيف ، والحركة متصلة ، والشوارع ممتلئة بالناس . . .

ولكن السلامة توالت . ووقف النهر عن الارتفاع ، ولم يقع الثبق (أى الكسر) الذى كانوا يخشونه ، وكان قد تصرم الهزيع الأول من الليل ، فأمن الناس ، وتفرقوا إلا قليلا قاموا يحرسون النهر ، ودخلوا بيوتهم ، وولجت دارى أستريح ، فما لبثت أن ذهبت فى رقدة عميقة .

* * *

رأيت المياه تنساب فى كل جهة ، تغنى أغنية الرعب ، تقتلع البيوت ثم تلقى بها إلى بعيد ، وتلج فى باطن الأرض ثم تقلبها بما

(١) اسم دجلة بالفرنسية (Tigre) وبالانجليزية (تايجرس) ومعناها كلها . . . النمر !

عليها ، وتصعد فى الجو ، ثم تنزل كالبلاء المصبوب . . ثم انصدع صدع عظيم وهويت إلى قعر الهاوية ، وكان حولى مئات من النمور والفهود والأفاعى ، وسمعت رعداً شديداً ، ورأيت برقاً ومطراً ، ثم عادت السيول تجرى ، تدحرج آلافا من الصخور .

. . . ففتحت عينى . . وإذا الحلم حقيقة ، وإذا الصيحة فى الحى والقيامة قد قامت ، وخفارات الحراس ، وأبواق الجنود تصدح باستمرار ، والنساء يولولن ويعدون ، والأطفال تبكى وتركض فى كل مكان ، والرجال تصيح طالبة النجدة ؛ وتبينت وسط الضجة الكلمة الرهيبة : كسر النهر . . النهر انكسر !

وتدفق سيل العرم !

* * *

إن هذا النهر الذى جاء من قمم الأناضول الشاهقة وسلك على السهول الممرعة ، والصحارى المجدبة ، قد تعب من سيره الطويل المضنى . لجاء يستريح على هذه الحقول التى زخرفها الربيع وأزهر فيها النارنج ، وفتح الورد والقرنفل والفل ، وأترع نسيمها العطر . فيحيل ذلك كله إلى صحراء قاحلة . . جاء يغرس هذه الحياة الرخية السعيدة بزور اليتم والفقر والنكد .

ولكن الذنب علينا ؛ لو أنا أنشأنا له مأوى يستريح فيه وسريراً ينام عليه ، لهجع فيه إلى أيام الصيف ، ثم لخرج بالبركة واليمن إلى أراضينا وبلادنا !

* * *

تركت الدار وخرجت أسبح فى هذا الخضم من الناس ، أدفع النساء والشيوخ والشباب ، لأصل إلى الشاطىء فأعمل عملا ولست أدرى ما ذا أعمل ؟ ولست أحسن السباحة ، ولست أعلم ما الفائدة من ذهابى ، ولم أفكر فى شىء من ذلك لأن الانسان لا يفكر فى ساعة الخطر ، وإنما يعمل . . فلما وقفت على الصدع هالنى وارعبنى أن النمر قد أفلت من القفص . وخرج يعدو مجنوناً مستطار اللب ، كاشراً عن أنيابه يزمجر ويزأر ، ويبرق ويرعد إن الماء يندفع إلى العلاء بقوة الديناميت ، ثم ينزل على الحقول ، فيقضى فيها مكتسحاً كل شىء فى طريقه ، يقتلع الأشجار الضخمة ، ويقذف بها كأنما هى عيدان الكبريت ، وينسف البيوت كأنما هى علب من الورق ، ويتدفق من كل جهة . . . وقد ابتلع صوته المدوى كل ضجة ، وملأ الأسماع بترتيلة الموت المستمرة . . . وكان لمنظره فى ظلمة الليل صورة لا توصف . .

وأقدم الناس ، يسبقون الماء ليقيموا فى وجهه السدود ، ليقيدوا هذا النمر الهائج بحمية منقطعة النظير ، وحماسة نادرة المثال . . . وأقدمت أخوض هذه اللجة من الناس ، لأصل إلى هذه اللجة الطامية من الماء أمشى فى ظلمتين : ظلمة هذا الحشد المزدحم . وظلمة الليل البهيم ، أتعرض لرهبتين : رهبة الليل وسواده ، والسيل واندفاعه . أصغى إلى لحنين : لحن الروع على ألسنة الناس ، ولحن الهول على لسان النهر . . .

ولم أخش شيئاً . . .

إنها ساعة الخطر . . .

بوركت ياساعة الخطر ؛ أنت لحظة الانسانية . أنت التى تورق فيك أغصان الحب ، ويزهر فيك الاخلاص ، ويعود الناس فيك إخواناً متحابين . قد خرجوا من أطماعهم ومات فى نفوسهم الحسد والبغضاء وعاش فيها الحب والتضحية والاخلاص والوئام . .

* * *

تقدمت إلى الأمام ولكنى لم أصل إلى شىء ، لأن الناس كانوا يستبقون العمل ، ويهرعون إلى الموت ، كأن العمل غنيمة ، والموت وليمة . . وكانوا يصرخون صراخ الحمية . ويهتفون باسم الوطن والمروءة والشجاعة . . ومرت على ذلك ساعة كاملة والصدع يتسع ، والماء يزداد اندفاعاً . فكلت الأيدى النشيطة ، وجمدت الصيحات والأناشيد على الشفاه ، وخامر الناس اليأس . .

هنالك انتبهت فا ذا أنا أسمع النشيد الذى ارتقبه وأصبوا إليه ، ليس نشيد الوطن والمروءة ولكنه أجل وأقوى ، النشيد الذى له قوة السيل ، وعظمة البحر ، وبهاء الشمس ، وصلادة الصخور . النشيد الذى لا يقوم له شىء ، النشيد الذى كان أجدادنا يهتفون به ، كلما حاقت بهم ضجة فيذكون به كل حصن ويكتسحون كل عدو ، ويخلصون من كل خطر . النشيد الذى يحيل الجبان بطلا . واليأس أملا ، والطفل رجلا . .

ذلك هو نشيد الرجال والنساء والأطفال بصوت واحد يجرى على قرع الطبل ، فيشق الليل ، ويخشع له كل من يسمعه حتى النخيل والحقول ، والسحاب والنجوم ، وهذا النمر الثائر

الله أكبر ـ الله أكبر ـ لا إله الا الله

الله أكبر ـ الله أكبر ـ ولله الحمد

* * *

وبدأ الصراع كرة ثانية . .

وأقبلوا على العمل بهمم لا تنثنى ، وقلوب لا تلين ، وسواعد لا تكل . .

وصب النشيد فى عروقهم روح الظفر . . .

فظفروا . . .

* * *

وعند ما كانت الشمس تطبع أول قبلاتها على جبين الكون كان الموكب الظافر قد رجع ، يحمل أجمل أزهار الرياض التى أنقذها وحماها من الغرق . . . يمشى فيه الجند والطلاب ، بصفوف

منتظمة ، قرأت فيها أروع شعر الحياة . . . كما تلوت فى هذه الجماهير المنثورة فى كل مكان أبلغ « نثرها » . . .

وكان الأشراق يكسو الوجوه ، وغناء النصر يرقص على الألسنة . . .

فوقفت أحيي هذه المواكب الماجدة ، حتى غابت عنى فى طريقها إلى بغداد :

ألف تحية أيها الأبطال الذين مشوا إلى الموت ، لينقذوا بلادهم من الموت .

ألف تحية أيها الشعب القوى العامل الجرىء .

ألف تحية أيها الطلاب المبرؤون الذين حملوا الفئوس والمعاول ، وأقاموا من جسومهم الملساء الناعمة سداً فى وجه هذا السيل الطامى . . .

ألف تحية أيها الجنود البواسل ، ياحماة الديار ، يامن وطنوا نفوسهم على محاربة كل من يريد ببلادهم شراً ، سواء لديهم أكان جبارا من جبابرة الأنس ، أو عفريتا من عفاريت الجن ، أو قوة من قوى الطبيعة . . .

لكم منى ألف تحية ، ألف سلام !

(بغداد) **على الطنطاوى**

سر مجهـــول
فى تحريم لحم الخنزير
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

ويمكننا بعد هذا أن نحكم بأن الخنزير من جنس السباع مثل الكلب ، لأنا إذا جرينا على ما جاء فى القاموس من أن السبع هو المفترس من الحيوان فالخنزير يفترس الحيوانات كالسبع ، خصوصا إذا لم يجد ما يأكله من العشب ، فإنه يصير إلى أن يكون آكل لحوم ، فيفترس الحيوانات الحية ، ويأكل من لحومها ، كما جاء فى كتاب (الحجج البينات فى علم الحيوانات)

وكذلك إذا جرينا على ما جاء فى كتاب النهاية لابن الأثير من أن السبع هو ما يفترس الحيوان ويأكله قهرا وقسرا ، لأن هذا يوجد فى الخنزير أيضا ، أما إذا جرينا على ما ذكره أبو حنيفة من أن كل ما أكل اللحم فهو سبع فأمر الخنزير فى السبعية عليه أظهر ، لأنه لا يشترط فيها الافتراس كما اشترطه فيها غيره ، بل يكتفى فيها بأكل اللحم ، ولذلك عد الفيل ونحوه من جنس السبع

فأما إذا جرينا على ما ذكره الشافعى من أن السباع المحرمة هى التى تعدو على الناس فانا نجده ضيق فى ذلك بما لم يضيق به غيره ، ولكن الخنزير يدخل فى السباع على ذلك أيضاً ، لأن الخنازير كثيراً ما تجاهر الناس العداء وتحمل على الانسان بدون أن يغيظها ، كما جاء فى دائرة معارف البستانى

على أن الحديث الوارد فى تحريم السباع (كل ذى ناب من السباع فأكله حرام) يظهر منه أن لأنياب السباع أثراً فى تحريمها ، بل الظاهر منه أنها هى العلة فى هذا التحريم . ولا شك أن هذه العلة فى الخنزير أظهر منها فى سائر السباع لأن قوة نابه لا توجد فى غيره منها ، وقد بلغ من أمرها أن يتغلب بها أحياناً على الأسد ، كما جاء فى كتاب حياة الحيوان وغيره من الكتب القديمة والحديثة فى علم الحيوان

وإذن يكون تحريم لحم الخنزير لسبعيته ، وتكون هذه السبعية هى التى جعلت الاسلام ينظر اليه هذه النظرة البغيضة . وإذا كان الاسلام قد اهتم بأمره أكثر من غيره من السباع فأنزل تحريمه فى القرآن الكريم ، وحكم بنجاسته مع تحريمه ولم يحكم بنجاسة غيره من جنسه ، فان الجاحظ رحمه الله قد بين حكمة ذلك فى كتاب الحيوان (ج ٤ ص ١٣) وإن كانت هذه الحكمة قد جاءت فى الموازنة التى عقدها بينه وبين القرد ، لا فيما نحن بصدده من ذلك الأمر السابق ؛ وهذا ماقاله فى تلك الحكمة : إنما خص الخنزير بالذكر دون القرد مع استوائهما فى المسخ لما فيه من قبح المنظر ، وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العذرة مع الخلاف الشديد ، واللواطة المفرطة ، والاخلاق السمجة . وقد زعم ناس أن العرب لم تكن تأكل القرود ، وكان بعض كبار القبائل وملوكها يأكلون الخنزير ، فأظهر الله لذلك تحريمه إذ كان هناك عالم من الناس ، وكثير من الاشراف والوضعاء ، والملوك والسوقة ، يأكلونه أشد الأكل ، ويرغبون فى لحمه أشد الرغبة

ثم ذكر أن الخنزير يكون أهلياً ووحشياً كالحامير والسنانير مما يعايش الناس ، وكلها لا تقبل الآداب ، وأن الفهود وهي وحشية تقبل كلها ذلك ، كما تقبله البوازي والشواهين وغيرها ، والخنزير وإن كان بهيمة فهو في طباع ذئب

فهذه الخصال التي اجتمعت في الخنزير هي التي جعلت الاسلام يهتم بأمر تحريمه ذلك الاهتمام ؛ والمهم منها في نظرنا ما ذكره الجاحظ من شغف كثير من الناس بأكل لحمه واستطابته فان هذا في الحقيقة هو الذي اقتضى أن يعنى بأمر تحريمه في الاسلام هذه العناية .

وقد أجمع الفقهاء بسبب ذلك على تحريم لحم الخنزير واختلفوا في تحريم لحم غيره من السباع ، لأنه لم ينص على تحريمها . في القرآن كما نص على تحريمه ، ولكن جمهورهم على تحريم لحمها أيضاً ، ومن خالفهم في ذلك قال بكراهة لحمها دون تحريمه . وقد اختلفوا أيضاً في تحريم الخنزير البحري ، قال الربيع : سئل الشافعي رضى الله تعالى عنه عن خنزير الماء ، فقال : يؤكل

وروى أنه لما دخل العراق قال فيه حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبي ليلى ، وروى هذا القول عن عمر وعثمان وابن عباس وغيرهم ، وقد أبى مالك أن يقول فيه شيئاً ، وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع . وحكى ابن أبي هريرة عن ابن خيران أن أكارا صاد له خنزير ماء وحمله إليه فأكله ، وقال كان طعمه موافقاً لطعم الحوت سواء . وقال ابن وهب سألت الليث بن سعد عنه فقال : إن سماه الناس خنزيرا لم يؤكل ، لأن الله حرم الخنزير

وهذه العلة التي ذكرناها في تحريم لحم الخنزير قد علل بها تحريم لحم الكلب أيضاً ، ولا يخفى أن الخنزير والكلب يتساويان في نظر الشارع من هذه الناحية . وقد صرح ابن حميد السالمي الفقيه الاباضي بهذه العلة في تحريم لحم الكلب فقال في باب أحكام صنوف الحيوانات من أرجوزته المسماة (جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام)

وما الكلابُ عندنا حلالُ ولا السّنانير كما يقالُ
لأنها من السباع الضارية وبعضهم أحلها علانيه

وهذه العلة أظهر في الخنزير من الكلب ، لأنها تعتمد على وجود الناب الذي يحصل الافتراس به ، وقد سبق أن الخنزير أقوى الحيوان ناباً ، حتى إنه يتغلب بقوة نابه على الأسد وغيره

أما حكمة تحريم لحم السباع فحفظ الانسان من صفاتها الوحشية المنافية لبقاء العمران ، لأن غذاء الانسان له تأثير كبير في صفاته وأخلاقه . وقد غالى بعض الشرائع فحرم لحم الحيوان مطلقاً لأنه يورث في نفوس البشر ما يورث من القسوة والغلظة . والشريعة الاسلامية تنظر إلى لحم الحيوان نظرة معتدلة ، فتبيحه في اعتدال ولا تحرمه على أهلها . وقد روى أن من داوم على أكل اللحم أربعين يوما قسا قلبه . وقيل في ذلك أيضا (إنما أهلك الناس الأحمران النبيذ واللحم) وعن عمر رضى الله عنه قال : إياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر وإن الله يكره أهل البيت اللحميين . ولعل الأيام المقبلة تظهر في تحريم لحم السباع حكما أخرى غير هذه الحكمة .

عبد المتعال الصعيدي

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨ — فمن لها بزياد أو بحجاج

الأبيوردى الأموى :

دهر تذأب من أبنائه نقد
وأوطئت عرب أعقاب أعلاج [١]
وأينع الهام لكن نام قاطفها
فمن لها بزياد أو بحجاج [٢]
وكم أهبنا إليها بالملوك فلم نظفر بأروع، للغماء فراج !

٣٩ — أفضل المناديل

فى (الكامل) :

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه (وكان يجتنب غير الأدباء) : أى المناديل أفضل ؟

فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غرقئ البيض [٣]

وقال آخر : مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع [٤]

فقال عبد الملك : ما صنعتما شيئاً . أفضل المناديل ماقال أخو تميم (يعنى عبدة بن الطبيب) :

ثمت قمنا إلى جُرْد مسوَّمة أعرافهن لأيدينا مناديل [٥]

٤٠ — كفيت الدعوة

فى (مجمع الأمثال) للميدانى :

أصل هذا المثل : (كفيت الدعوة) أن بعض المجان نزل براهب فى صومعته ، وساعده على دينه ، وجعل يقتدى به ، ويزيد عليه فى صلاته وصيامه ؛ ثم إنه سرق صليب ذهب كان عنده ، واستأذن لمفارقته ، فأذن له ، وزوده من طعامه . ولما ودعه قال له : (صحبك الصليب) على رسم لهم فيمن يريدون الدعاء له بالخير . فقال له الماجن : (كُفيت الدعوة ..) فصار مثلا لمن يدعو بشيء مفروغ منه

٤١ — فارجف فى السما

كان ببغداد شخص يقال له ابن بشران ، وكان كثير الأراجيف فمُنع من ذلك ، فقعد على الطريق ينجم ، فقال فيه ابن صابر :

إن ابن بشران ولست ألومه من خيفة السلطان صار منجما
طبُع المَشُوم على الفضول فلم يُطق فى الأرض إرجافاً فارجف فى السما [١]

٤٢ — انك عن لسانه تنطق

فى (طبقات الشعراء) للجمحى :

أتى الفرزدقُ الحسنَ البصرى [٢] فقال : إنى قد هجوت ابليس فاسمع

قال : لا حاجة لنا بما تقول

قال : لتسمعنّ أو لأخرجنّ فأقول : إن الحسن ينهى عن هجاء ابليس . .

فقال الحسن : اسكت فانك عن لسانه تنطق . .

٤٣ — الشيطان أصلح للشاعر

فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) للثعالبى :

من ظريف أمر حسان أنه كان يقول الشعر فى الجاهلية فيجيد جداً ، ويغبّر فى وجوه الفحول ، ويدعي أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه ـ كعبارة الشعراء فى ذلك ـ فلما أدرك

(١) النقد : صغار الغنم واحدتها نقدة والجمع نقاد . يقال : هو أذل من النقد

(٢) فى خطبة الحجاج فى الكوفة : اني لأرى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها

(٣) الغرقئ قشر البيض الذى تحت القيض . والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة . والآح والغرقد بياض البيض والمح صفرة البيض

(٤) الأنوار : الازهار

(٥) الجرد : الخيل القصار الشعرة . المسومة : المعلمة

(١) فى (شفاء الغليل) ميشوم ومشوم خطأ عامي وصوابه مشؤم قاله الزبيدى . وفى (القاموس) . رجل مشؤم ومشوم . وفى (التاج) ومشوم نادر وحكه السلامة

(٢) بكسر الباء نسبة الى البصرة وفى بائها ثلاث لغات والعالية الفتح . وفى (اللسان) البصرة حجارة رخوة الى البياض وبها سميت البصرة . وفى (القاموس) أو هو معرب (بس راه) أى كثير الطرق

الاسلام وتُبُدِّل بالشيطان الملكُ تراجع شعره ، وكاد يرك قوله ؛ هذا ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر ، وأليق به . . .

٤٤ — متى تجوع ببطن غيرك

فى (كتاب القضاة) : قال سهل بن على : كنت ألازم خير بن نعيم القاضى وأجالسه وأنا يومئذ حديث السن . وكنت أراه يتجر فى الزيت ، فقلت له : وأنت أيضا تتجر ؟! فضرب بيده على كتفى ثم قال : (انتظره حتى تجوع ببطن غيرك) فقلت فى نفسى : كيف يجوع انسان ببطن غيره ؟ فلما ابتليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم

٤٥ — عمل كل واحد محضرا

قال ابن خلكان : أخبرنى ابن مطروح انه جرى بينه وبين أبى الفضل جعفر بن شمس الخلافة منازعة فى هذا البيت :

وأقول : يا أخت الغزال ملاحة !

فتقول : لا عاش الغزال ولا بقى !

فزعم ابن شمس الخلافة ان هذا البيت له من جملة قصيدة هى فى ديوانه ، وعمل كل واحد منهما محضرا شهد فيه جماعة بان البيت له . وحلف لى ابن مطروح ان البيت له ، وكان محترزا فى أقواله ، ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له

٤٦ — الحظوظ مقسومة

فى (معجم البلدان) لياقوت الحموى : رووا عن ابن عباس انه قال : الحظوظ المقسومة لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أما كنها . ألا ترى سكة اصطفانوس (فى البصرة) كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم تضف الى واحد منهم ، وأضيفت الى كاتب نصرانى من أهل البحرين وتركوا الصحابة ؟

٤٧ — ماتنكر لله قدرة

فى (كتاب قضاة قرطبة) :

من المستفيض عن القاضى (أسلم بن عبد العزيز) قوله لرجل من أهل لبلة وقد أتاه وسلم عليه ثم جلس ثم قال : أتعرفنى يا قاضى ؟

قال له : لا

قال : أنا قاضى لبلة

فقال أسلم : ما تنكر لله قدرة . . .

٤٨ — أحسن توجيه

فى (خزانة) البغدادى :

كان أمين الدولة أبو الحسين بن صاعد الطبيب قاطع (محمد بن حكينا) ثم استماله ، وكان ابن حكينا قد أضر بصره وافتقر فكتب اليه :

واذا شئت ان تصالح بشار بن برد فاطرح عليه أباه . فنفذ اليه بردا واسترضاه فاصطلحا . وهذا أحسن ما سمعت فى التوجيه [1] . قوله (بشار بن برد) أى : أعمى (فاطرح عليه أباه) هذه لفظة بغدادية ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلانا أى احمله إليه ليشفع لك . ولم يتفق لأحد فى التوجيه أحسن من هذا

٤٩ — ابن ورد يبغى أباه

مر العالم أبو القاسم بن ورد بجنة لأحد الأعيان ، فيها ورد ، فوقف بالباب وكتب إليه :

شاعر قد أتاك يبغى أباه
عند ما اشتاق حسنه وشذاه

فلما وقف على قوله علم أنه (ابن ررد) فبادر من جنته إليه ، وأقسم فى النزول عليه ، ونثر من الورد ما استطاع بين يديه

(النقل ممنوع)

---

(١) التوجيه أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره وتوجيه (المتأخرين) هو ابهام (المتقدمين) ومن شواهد الابهام :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من ؟

ومن شواهد التوجيه :

من أم بابك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن (قرة) والكف عن (صلة) والقلب عن (جابر) والاذن عن (حسن)

قرة بن خالد السدوسي ، صلة بن أشيم العدوى ، جابر بن عبد الله (لا جابر الجعفى) الحسن البصرى .

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٣ —

الديانة المصرية — التأليه فى العصور التاريخية

أثرت أقاصيص المعارك التى اشتعل أوارها بين المصريين فى عصور ما قبل التاريخ فى نفوس أبنائهم المصريين المدنيين تأثيراً دفعهم إلى تحوير هذه الأقاصيص الاجتماعية إلى أساطير دينية فزعموا أن « أوزيريس » — وهو إله الانبات والخصوبة وبالجملة إله النيل — قد استعان بأخته وزوجته « إيزيس » إلهة الحكمة والتشريع والسحر ورمز الوفاء والإخلاص ، وبوزيره « توت » إله العلم والتدبير وبعض الآلهة الآخرين على تكوين مملكة إلهية عظيمة فى مصر . وكان لهذا الآله أخ وهو « سيت » إله الشر والقحط والاجداب فحقد عليه من أجل هذا الجلال الباهر الممثل فى مملكته العظيمة الصافية ، ولأنه لا يستطيع مجابهته وجها لوجه رهبة منه وفرقاً أمامه ، فقد غدر به إذ احتال عليه بحيلة شيطانية حتى أدخله فى تابوت كان قد صنعه خصيصاً لهذه الخديعة بحجة أنه يود أن يعرف سعة هذا التابوت ، ثم أقفله عليه وقذف به فى النيل فحمله التيار إلى المصب وسلمه إلى البحر الأبيض فحمله هذا البحر من المصب إلى « بيبلوس » . وفى أثناء ذلك افتقدته زوجته الوفية فلم تجده ، فأدركت ما حدث له ، فصممت على أن تفتش عنه حتى تعيده إلى الحياة وإلا لحقت به ، وظلت تجهد نفسها فى البحث عنه حتى عثرت عليه وأعادته إلى الدلتا وقبل أن تتمكن من فتح التابوت فاجأها « سيت » وتغلب عليها بقوته ثم مزق جسم أخيه أشلاء عددها اثنان وسبعون شلوا ، ألقى بكل شلو منها فى مقاطعة من مقاطعات مصر ، وكان عددها إذ ذاك يساوى عدد هذه الأشلاء ، فلم يفت ذلك فى شجاعة إيزيس ولم يضعضع من عزيمتها ، بل ثابرت على جمع هذه الأشلاء المتناثرة حتى استكملتها ووضعت كل واحد منها فى مكانه الطبيعى ، ثم تلت عليه بعض ما تعرفه من الرقى والتعاويذ السحرية ، فعاد إلى الحياة ، ولكنها حياة لا تشبه الحياة الأولى ، فلم يلبث على الأرض إلا بقدر ما أنسل « هوروس » ثم غادرها واستبدلها بمملكة الأموات العظيمة حيث أصبحت مهمته محاسبة أهل الدنيا ووزن أعمالهم واصدار الأمر لهم أو عليهم بالنعيم أو بالجحيم

وقد استخلف على مملكة الدنيا من بعده ابنه « هوروس » ، ولكن « سيت » عاد الى مشاكسة هذا الإله الشاب من ناحية القانون فأعلن أنه ليس ابن « أوزيريس » ، لأن « أوزيريس » قد مات منذ عهد طويل ، ولأنه من غير الممكن أن ينسل فى هذه الفترة الوجيزة التى عاد فيها إلى الحياة على الأرض . وإذاً فليس للعرش الإلهى وارث شرعى إلا هو . وقد رفع بهذه الدعوى قضية أمام محكمة الآلهة فهبت « إيزيس » تدافع عن شرفها ، و « هوروس » يثبت بنوته من « أوزيريس » ثم استشهدت الزوجة المتهمة والابن المجحود بالإله اللبق الفصيح « توت » ، فشهد بشرف الوالدة وشرعية الولد فحكمت المحكمة بالعرش المقدس لذلك الآله الشاب

ومما يلفت النظر فى هذه الأسطورة الشيقة هو أن « إيزيس » أثناء طيرانها للبحث عن أشلاء زوجها بكت حزنا عليه فسقطت من عينها دمعة فوق النيل فزاد لساعته ، وكان ذلك فى شهر بوونة ، فظل النيل يزيد فى هذا الشهر من كل عام إلى اليوم . ومن الغريب أن يوم بدء هذه الزيادة يسمى فى أرياف مصر الى الآن بـ « يوم النقطة » أى نقطة الدمع التى نزلت من عين « إيزيس » . فانظر كيف أن هذه الثمانية آلاف سنة لم تستطع أن تمحو هذه الأسطورة من صحائف الوجود ؟!

روت بعض الأساطير المصرية الأخرى قصة « أوزيريس » و « هوروس » على نحو يخالف ذلك ، ولكن هذه الرواية هى أصح الروايات أو بالحرى هى أكثر الروايات تنسيقا على نظام الحقائق

ومهما يكن من شيء ، فإن أهم الملاحظات العظمية القيمة فى هذه الأسطورة هو أن روح القانون والأنظمة الشرعية كانت سائدة فى مصر سيادة تامة حتى فى عهود ماقبل التاريخ ، ولولا ذلك لما طلب « سيت » عزل « هوروس » عن العرش بحجة أن بنوته من « أوزيريس » لم تثبت ، ولأن موته سابق على مولد هذا الإله الشاب بزمن طويل . ولولا سيادة هذه الروح القانونية أيضا لما اضطرت « إزيس » إلى الاستشهاد بـ « توت » على براءتها وشرعية ابنها وأحقيته فى العرش .

ويجمع على هذه الملاحظة كل العلماء الباحثين ويعدونها برهان رقى الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية وإن كانوا يختلفون فى موضوع القضية الواردة فى الأسطورة فيذهب البعض إلى تأييد الرأى الذى ذكرناه آنفا ، وهو أن الغاية من القضية كانت إثبات بنوة « هوروس » من « أوزيريس » بوساطة زواجه من أخته « إيزيس » ويرجعون زواج الإخوة بأخواتهم عند قدماء المصريين إلى هذه الأسطورة التى يقول البعض : إن « إيزيس » قد ادعتها لتبرر بها موقفها بعد أن ولدت «هوروس» من ناحية ، ولتمكن ابنها من الصعود إلى العرش بوسيلة شرعية من ناحية أخرى .

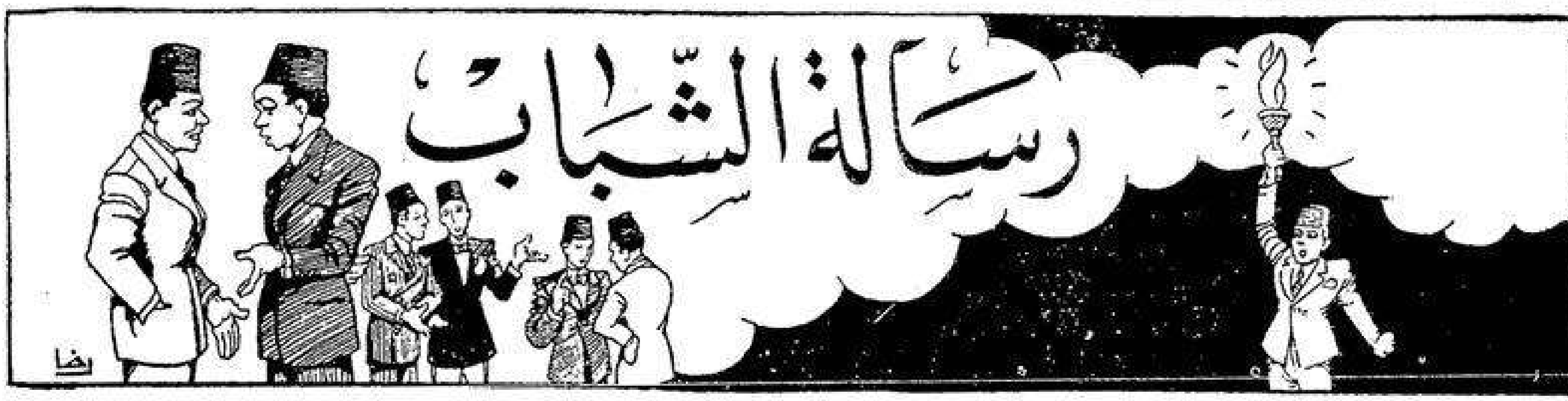
ويؤكد البعض الآخر من الباحثين أن القضية التى أقامتها « إيزيس » أمام محكمة الآلهة لم تكن لإثبات بنوة « هوروس » من « أوزيريس » وإنما قصدت بها إثبات حق ابنها «هوروس» فى العرش بحجة أنه ابنها هى ، وهى أخت « أوزيريس » الإله الراحل ، لأن احترام المصريين القدماء للمرأة كان يجعل الوراثة عن الخال أمرا محققا ؛ ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذه الأسطورة على وجهيها تشهد بالشوط البعيد الذى كانت مصر قد قطعته فى المدنية حتى فى عصر ما قبل تكوين المملكة الأولى .

ظل ذلك النزاع الذى احتدم لهيبه بين « هوروس » وعمه أو خاله « سيت » إله الشر والغدر رمزا لتلك الحروب العديدة التى كانت تقع من حين إلى آخر بين رؤساء مقاطعات الوجهين القبلى والبحرى زمنا طويلا تطورت بعده إلى فكرة أجرأ من الرمز ، وهى أن كلا من الرئيسين المتحاربين أصبح يمثل أحد ذينك الإلهين المتنازعين ، ومازال هذا شأنهم حتى هب ذلك الفرعون العظيم : « مينيس » أو « مينا الأول » فكان أكثر جرأة وأعظم صراحة ، فأعلن فى غير مواربة أن الإلهين كليهما قد حلا فى جسده ، وأن جسمه يشتمل على الجوهر الأساسى أو روح القدس للإلهين جميعا ، وأنهما لهذا قد استخلفاه على ذلك العرش السامى الذى طالما كان موضع نزاع بينهما ، وأنه حين يضع فوق رأسه تاج الوجهين: القبلى والبحرى ويضمهما تحت إمرته فى شىء عظيم من الحزم لا يزيد على كونه منفذا فعليا لأمر الإلهين .

وقد تم له ما أراد ، إذ أصبح إلها حيا جامعا بين القوتين اللتين ظلتا مفترقتين إلى عهده . ومنذ هذا العصر أطلق على « مينا » وأعقابه اسم الاله أو مليك القطرين أو اسم : « هوروس » و « سيت » أو مصدر الخير والشر ، والنور والظلمة ، والخصوبة والجدب ، وأصبحت زوجته تدعى بالملكة التى تحظى فى كل ليلة بـ « هوروس » و « سيت » ولكن « سيت كان فى الأناشيد والأغانى يظل كامنا فى أغلب الأحايين ولا يبرز على مسرح الأساطير المصرية إلا فى حالات السخط والغضب ، أما فى الظروف العادية فلا ترى فى الأناشيد إلا فرعون ممثلا لهوروس ، مشيدا بنعمه ، شاكرا لآلائه ، متحدثا على لسانه بعظمة مصر وعرشها عنده ، كما جاء فى هذه الأنشودة الموجهة إلى مصر : « تحية إليك يا مخلوقة « هوروس » التى زينها بذراعيه مجتمعتين والتى لم يسمح لها بأن تخضع لسكان المغرب ولا لسكان المشرق ولا لسكان الجنوب ولا لسكان الشمال ولا لسكان الوسط المركزى ، وإنما له هو وحده فحسب ، أنت لا تخضعين إلا لهوروس الذى خلقك وأسسك ثم سواك وزينك ، وأنت تحملين إليه كل ما فيك من خيرات حاضرة ومستقبلة وتقدمين إليه كل ما يشتهيه قلبه (١) .

« يتبع » محمد غلاب

(١) راجع كتاب ألكسندر موريه « من البطون إلى الأمبراطوريات » صفحتى ٢١٤ - ٢١٥



الى أين يتجه الشباب ؟

الآن تقف مصر وأكثر بلاد الشرق العربي على مفرق الطرق فى تاريخها الحديث ، فهى تودع عهداً كان غرضها فيه واحداً استنزف كل ما لديها من حيوية ونشاط ، وهو استعادة سيادتها المغصوبة ومجدها المفقود ؛ وتستقبل عهد الإصلاح والإنشاء لتعوض مافات عليها من فرص الاصلاح الداخلى ، فتصلح ما أفسده العصر المنصرم ، وتنشىء ما يطلبه العصر الجديد .

ومن شأن هذا العهد الانتقالى أن يحمل الأمة على إعادة النظر فى أساليب الكفاح ، فلكل ميدان عدته ، ولكل عهد أساليبه .

والرسالة يهمها فى هذا الباب مصير الشباب ، فنحن موقنون بأن العهد الجديد سيتناول موقفه بالتغيير وغرضه بالتحديد

حمل الشباب بالأمس علم الجهاد الوطنى ، فكان جندى المعركة المضحى بوقته ومستقبله ودمه . وسجل فى تاريخ الحركة الوطنية صفحات خالدات من الاخلاص والبطولة والتفدية .

اما الآن وقد صمت النفير ، وتوارى الخصم المهاجم وراء المعاهدة ، وارتدى ثوب الحليف ، وآب المجاهدون إلى الزرع الذى تركوه ، وإلى الأرض التى أغفلوها ، فقد انفتحت للكفاح ميادين جديدة ، وأبواب عديدة ، وضاق الميدان السياسى عن الجهود الشابة والحماسات الدافقة

فهل يخرج الشباب من الميدان السياسى لينكب على تحصيل العلم وجمع الثروة وتنظيم الحاضر وتدعيم المستقبل ثم يتركه لقادة الرأى من شيوخ السياسة ورجال الادارة ؟

أم يبقى فيه ويظل زيته المضىء المحترق على أن يتطور مع مقتضياته الجديدة ؟

وإذا أخذ بالرأى الثانى فإلى أى اتجاه يتجه بين مزدحم الآراء ومهب الأهواء فى هذا العالم المضطرب الصاخب ؟

ذلك ما فتحنا لأجله هذا الباب ، مقدرين أن تتبارى فيه مطامع الشباب وتجارب الشيوخ

ويهمنا على الأخص رأى الشباب لأننا نريد أن نطلع على انفعالاته واتجاهاته ، فنقف منها موقف البستانى من نبت الحديقة ، يستأصل أشواكها وزوانها ، ويتعهد أورادها وريحانها .

ولا بد لنا من كلمة ندخل بها إلى هذا الموضوع ؛ فنحن لانرى للشباب الانسحاب من ميدان الكفاح السياسى ، فالجيل الماضى قد انهكته المعركة الكبرى ، وهو الآن يقوم بآخر خدماته فيمهد العمل للجيل الناشىء إذ يتعهده برعايته ، ويظلله بحمايته ، حتى يشتد ساعده فيترك له الميدان . وطبيعى أن اتجاه الكفاح فى ميدان الاصلاح الداخلى ، وتعقد مرامى هذا الاصلاح وتشعبها يتطلب شباباً كامل الثقافة صادق العزيمة واسع التجربة ، يتخذ موقف المدرس لا موقف المحمس ؛ وسيحتاج إلى اقناع الجماهير بالحجة ، لا إلى إغرائها بالعاطفة

* * *

وأما الاتجاه فميدان الاصلاح الداخلى واسع الجنبات ، وحرية اندفاع المثل والكفايات فيه أكثر ، وسيتلمس كل فريق الرأى الذى يراه أكثر اسراعاً فى تعمير البلاد ، فليلتفت الشباب بطبيعة الحال إلى الغرب يسترشد بتجاربه ويستضىء بنوره . وهنا نحذره من أن تغره مظاهر الأمور ؛ وهنا نقرع له جرس الخطر ، ونصيح به صيحة الحذر ، فان أوربا

الآن تعج بأفكار خلابة ودعوات أخاذة زادتها الدعاية المقصودة بريقاً وضجة، فعسى الا يغره هذا البريق، فهذه الافكار وليدة المحنة، محنة ما بعد الحرب؛ فاوربا الآن محمومة؛ واذا كان لا بد لنا من الاقتداء بها فلنميز بين أسباب الرقي الحقيقية وبين ما انتجته هذه الحمى من أعراض وهذيان وفوضى. ونقول بصراحة أكثر: - إن في أوربا الآن تطاحناً ظاهراً بين القومية والماركسية، وقد اندفعت الأولى للفاشية، والثانية للشيوعية؛ ولكل منهما مظهرها المتطرف الذي لا ينفع هذه البلدان الناشئة

نحن لا يفيدنا الاكثار من قرع الطبول ولا حرب الطبقات، فقد كان كفاحنا في الماضي رزيناً قوياً فنجح لأنه استمد قوته من طبيعة الأشياء، فقاوم العبودية التي يعافها الانسان؛ ويجب أن يظل في دوره الجديد على هذه الصبغة الأصلية لينجح

ربما تبهرنا تلك المظاهر بضجة العمل وسرعة التنفيذ، وتظهر لنا ان العمل الانشائي في العهد الجديد أبطأ مما تصورناه؛ فايانا أن ننسب ذلك الى عيب في نظمنا الأساسية، لأن أشر ما نعانيه هو من أثر التحكم الأجنبي وانشغال الأمة عن تلافي نواقصها ومداواة عيوبها

وهل يعنينا الا أن يكون الصرح وإن تراخى الزمن في انشائه متين البنيان يستطيع مقاومة الزعازع التي تنتاب البلدان الناشئة؟

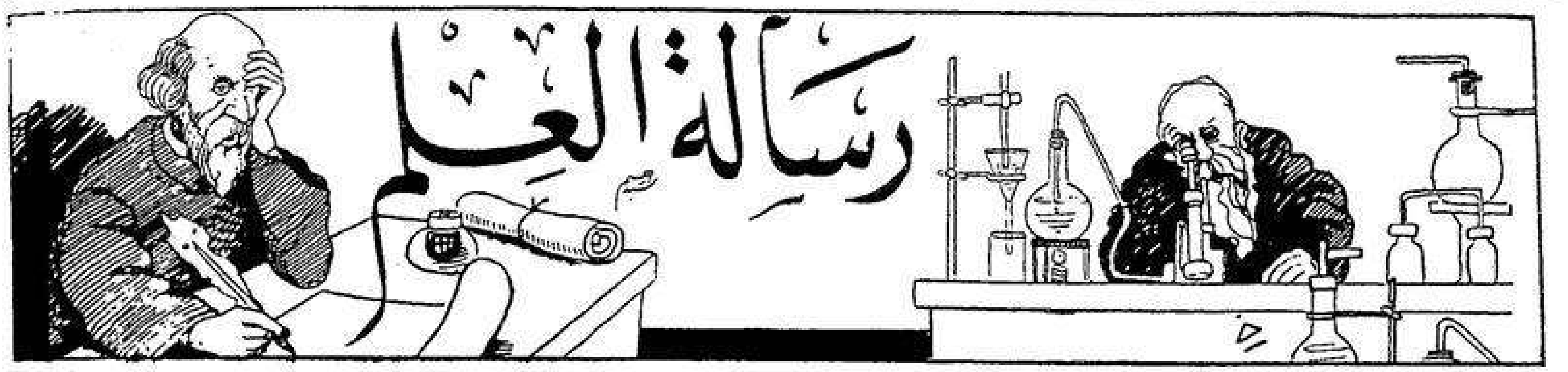
يجب أن نحتفظ بوحدة الصفوف وان نبقي لجهادنا العام صبغة التطوع المشترك من كل طبقاته

إننا نريد أن نبني أمة قوية لا تيتم بفقد فرد، ولا تضل بزوال حزب. نريد أمة توجه ساسة، لا ساسة يوجهون أمة.

وخير ما نختم به هذه الكلمة أن نخاطب شبابنا بما خاطب به المستر بلدوين قومه بالأمس اذ قال:

«في هذا العصر تستطيعون السير بسرعة ستين ميلا في الساعة آمنين، فاياكم أن تسيروا بهذه السرعة في طريق التغييرات الدستورية، فانكم اذا سرتم على هذا المنوال تحطم في يدكم الدستور، وجرى في تحطمه الخراب واهراق الدماء. قد تكون الأفكار في بعض الأحيان مجلبة للخطر العظيم، فإن مئات الملايين تحكم الآن في روسيا وألمانيا وايطاليا بافكار غريبة عن هذه البلاد، فاتقوا شر الشيوعية والفاشية بينكم بعض من يتحدثون عن التغييرات الدستورية والأساسية بغير حساب فراقبوهم»

بهذا الخطاب يودع السياسي البريطاني الشيخ ناخبيه وهو مشفق على أمته المسكينة أن تحطمها الآراء المتطرفة. وبمثل هذا نوصي الشاب الناشئ. فالامم الجديدة أحوج الى مثل هذه النصيحة. وان فيما تصنعه الافكار المتطرفة في أسبانيا عبرة للمعتبرين (محرر الصحيفة)



قصــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

مراقب مصلحة الكيمياء

الرصاصة المسحورة

— ١ —



بدأنا هذه القصة بلوفن هوك ، بهذا الرجل الذى لا يعرف إلا الحقيقة الواقعة يتوجه إليها قُدُماً دون مداورة أو محاورة ، وبدأناها به لأنه منذ نحو من مائتين وخمسين عاماً نظر بعين من السحر ، نَظَرَ بعدسه ، فرأى المكروبات أولَ من رأى . نقول بعين من السحر ، وهو لو سمعنا نَصِف مكرسكوبه بأنه من السحر لشخر ونخر كما قد يفعل اليوم بعض مواطنيه الهولانديين استهزاء بنا واحتقاراً لوصفنا

وهانحن أولاء نختم هذه القصة بپول إرْليش Paul Ehrlich وهى خاتمة مباركة سعيدة ، والخواتيم المباركة السعيدة لا بد منها لكل قصة جدية ذات بال . كان صاحبنا رجلا مِفراحا ، وكان يدخن فى اليوم الواحد خمساً وعشرين لفيفة من لفائف التبغ الطويلة الثخينة (١) cigars ، وكان مشغوفا بشرب كوب من البيرة على الملأ مع خادم معمله القديم ، وأكواب كثيرة أخرى مع زملائه من ألمانيين وانجليزيين وأمريكيين . ومع أنه جاء فى العصر الأخير الحديث ، إلا أنه كان به شىء كبقية من العصور الوسطى ، فقد كان يقول : « يجب أن تتعلم صيد المكروب برصاص من عبقَر (٢) » ، فضحك الناس منه . وأما أعداؤه فصوروه صوراً مضحكة وكتبوا تحتها « الدكتور فَنْتازُس » (٣)

على أنه مع هذا قد صنع حقاً رصاصة من عبقر . وكان له مزاج الكيماويين القدماء الذين يُحيلون الرصاص إلى الفضة ويستخرجون من خسيس المعادن الذهب ، ولكنه صنع فوق ما حسب هؤلاء أنهم صانعوه : قَلَبَ سماً معروفاً مألوفاً يتخذه القتلة المجرمون لإبادة الأنفس ، فصيره دواء وشفاء وخلاصاً لتلك الأنفس من داء من شر دائها . طبخ

---

(١) المسماة فى مصر بسجائر زنوبيا

(٢) جلد الجن

(٣) كلمة يونانية من فنتاذيا ومعناها الشبح أو الخيال . أعنى أنه رجل وهم وخيال وتخريف .

الزرنيخ طبخة ومزجه مزجة أحالته إلى عَقّار يذهب عن مرضى بنى الانسان بلعنة ذلك الداء الكريه ذى المكروب اللولبي ، ذلك الداء القبيح الاسم (١) الذى هو جزاء الخطيئة الكبرى . وكان لإرليش خيال غريب عجيب مقلوب ، لا يتصل بالمألوف فى هذه الأرض ، ولا بالمعروف فى العلم ، فأعانه هذا الخيال فدار بصُيّاد المكروب فى طرائق البحث دورة جديدة ، وطلع بهم وبعلم المكروب فى صحراء المجهول طلعة جديدة كشفت لهم من فوق رابية عن وديان من الأرض جديدة ، ولكنهم وآأسفاه لم يدروا إلا القليل منهم ماذا يصنعون بالوديان الخصيبة الجديدة التى حلوها ولهذا السبب سنختتم هذه القصة بأرليش

وليس معنى هذا أن بحث المكروب انتهى وجاء ختامه ، فأنا مؤمن ، كايمانى بطلوع الشمس غداً ، بأن أبحاث المكروب لم يجىء بعدُ ختامها ، وبأن الغد كفيل بخلق قوم كإرليش يأتون من عبقر بمثل رصاصته التى أتى . ولعلهم يكونون كارليش رجالا برغم ابتكارهم مفاريح مماريح مهازير مفاكيه ، فالأدوية الرائعة لا تُستخرَج من العمل الجِدّ المتواصل والمعمل البديع وحدهما . . . أما اليوم ، فلا يوجد من صُيّاد المكروب رجال إذا هم اقتنعوا بالذى يرونه ركبوا رؤوسهم فى سبيله واقتحموا كل معارضة لبلوغ مقصدهم منه ولو خالف المألوف واصطدم بالشائع المعروف . فهكذا إرليش ، ينظر فى عينيك بُوسْعَىْ عينيه محدّقاً محدّجاً يريد أن يقنعك بأن الاثنين تضاف إلى الاثنين فتجعل منها خمساً . وولد فى سيلسيا (٢) Silesia فى مارس عام ١٨٥٤ فلما شبّ أرسلوه إلى المدرسة الثانوية فى مدينة برسلاو (٣) Breslau فسأله أستاذه أن يكتب مقالة إنشاء موضوعها : الحياة حُلم . فكتب هذا الصبى اليهودى الذكى يقول : ان الحياة تعتمد على الأكسدة العادية . . . . والأحلام مظاهر من مناشط المخ ، ومناشط المخ ليست إلا أكسدة . . . إن الأحلام أشبه شىء بفسفرة مُخّيّة ! ،

(١) يقصد بالداء القبيح الزهري

(٢) مقاطعة أكثرها فى ألمانيا وأقلها فى شيكوسلافيا

(٣) مدينة معروفة فى سيليسيا الالمانية

وبالطبع كان حظه من هذا الانشاء رقم خسيس ، ولكن هذا لم يعكر عليه صفوه ، فقد كان قد مَرَن على هذه الأرقام الخسيسة عن أعماله المدرسية . ومن المدرسة الثانوية ذهب إلى مدرسة للطب ، بل إلى ثلاث مدارس للطب أو أربع . هكذا كان ارليش وهكذا تعلم . وفى كل مدرسة ممتازة فى الطب دخل من استراسبورج إلى فرايبورج إلى ليبزج ، ارتأى فيه الأساتذة أنه طالب غير عادى ، وارتأوا فيه أنه طالب سيء بالغ أقصى درجات السوء ، وذلك لأنه أبى أن يحفظ ١٠٠٥٠ كلمة طويلة زعموا أنه لابد من حفظها لعلاج المرضى . كان ارليش ثائراً ، وكانت ثورته جزءا من تلك الثورة التى بدأها الكيماوى بستور Pasteur وطبيب القرية كوخ Koch وسأله أساتذته أن يقطع جثث الموتى ويتعلم أجزاءها . ولكنه بدل هذا قطع جزءاً من جثة واحدة ، وقطعه سليخة سليخة ، وجعل هذه السلائخ غاية فى الرِّقة ثم أكبّ على تلوينها بشتيت من أصباغ أنلينية Aniline (١) جميلة بديعة اشتراها أو اقترضها أو سرقها على عين مدرِّسه

ولم يكن يدرى هو نفسه لِمَ يفعل هذا . وبقى إلى آخر أيامه يجد متعته الكبرى فى النظر إلى كل لون بهيج وصناعة كل صِبْغ زاه جميل . أقول متعته الكبرى ولا أذكر تلك المتعة الأخرى التى كان يجدها فى الجدَل الجموح والنّقاش الشرود الذى كان يتعاطاه على مناضد البيرة ومن فوق أكؤسها

وكان يكره التربية الكلاسيكية ويَعُدّ نفسه من نصراء الجديد ، ومع هذا كان يحسن الالمام باللاتينية ، ومن هذه اللاتينية كان يصوغ تلك الجمل الجامعة المنلمّة التى كان يدعو بها كلما خاض غمار حرب ، واستعدى العقول فى الحملة على الخصماء . فتلك الجمل الصارخة كان يُعنَى أكثر من عنايته بالمنطق . كان يصرخ : «Corpora non agunt nisi fixata» أى ، أن الأجسام لا تعمل إلا بعد تثبيتها ، وكان فى صرخته يضرب المنضدة بيده حتى ترقص الصِّحاف التى عليها ، فظلت تلك الصرخة بتلك الجملة تقوى قلبه وتحيى أمله فى ثلاثين سنة

(١) الانيلين مركب كيماوى عضوى شهير هو أصل لمشتقات عدة منها الأصباغ المذكورة

لم يكن له فيها غير الخيبة . وكان إذا حدثك بهذه اللاتينية يَلوح فى وجهك بنظارته فى إطارها القرنى وهو يؤكد معناه فى نفسك ويقول : « لعلك سامع ! لعلك فاهم ! » ، ولو أنك أخذته بجده لحسبت أن هذا الهراء اللاتينى لا عقله البحّاث هو الذى أفضى به إلى النجاح أخيراً . وعندى أنه أفضى بعض الشىء إلى هذا النجاح يقيناً

وكان إرليش أصغر من كوُخ بعشر سنوات ، وكان يعمل فى معمل كنهايم Cohnheim فى اليوم الذى عرض فيه كوخُ على الناس بشلة الحمرة لأول مرة : وكان إرليش زنديقاً لا يؤمن بالله ، فلما افتقد فى السماء ربا يعبده توجه بعبادته إلى رب فى الأرض ، فكان كوخ . وبينا هو يصبغ بألوانه كبدا مريضه وقع على جرثومة السل ورآها قبل أن يراها كوخ بزمن ، ولكن لجهله ، ولقصور ذكائه عن ذكاء كوخ ، ظن تلك القضبان الملونة التى رآها بلورات جامدة ، فطاش سهمه بعد أن كاد . ولما جاء مارس عام ١٨٨٢ وجلس فى بعض أمسائه فى تلك الحجرة فى برلين يستمع الى كوخ وهو يشرح كيف اكتشف جرثومة السل ، اهتز للذى سمع واتضح لعينه ما كان غم عليها ، ورأى الحقيقة واضحة صريحة . ووصف هذه الحادثة فقال : « إنها أكبر الحوادث أثرا فى نفسه فى كل ما صادف فى حياته العلمية » ، قالها بعدها بزمن طويل . وعلى اثرها اعتزم ان يتصيّد المكروب هو أيضا ، فذهب الى كوخ وأطلعه على طريقة بديعة يصبغ بها مكروب السل فيتراءى فى العين سهلا واضحا — وهذه الطريقة لا تزال تتّبع الى يومنا هذا بلا تغير يذكر . ولزمه وهو يشتغل بمكروب السل حماسةُ الصاخب ، فلوّث نفسه من قدمه الى رأسه بالمكروب ، فأصابه السل فكان لا بد له أن يذهب الى مصر ففعل

— ٢ —

وكان عمره إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة ، ولو أنه مات عندئذ فى مصر ، اذن لنُسى أمره بدون شك ، أو إن هو ذُكر فانما يذكر بأنه رجل مِفراح مِمراح أحب الألوان وأغرم بالخيالات ثم خاب ، وكان كالمولِّد الكهربائى dynamo فى جهده الفياض ونشاطه المتواصل . واعتقد أنه يستطيع الجمع بين صيادة المكروب ومعالجة المرضى . وتعين رئيساً للأطباء فى دار للعلاج شهيرة فى برلين ، ولكنه كان مُرْهَف الحس مضطرب الأعصاب لا يقوى على استماع صراخ المرضى وأنين من يوشك منهم أن يموت بعد أن استعصى داؤهم وعز علاجهم . نعم علاجهم . علاجهم الحق . علاجهم الشافى لا علاج الظن والتخمين ، ولا العلاج بالتأسية الكاذبة والتلطف الفارغ عند سرير المريض ثم ترك الأمر للطبيعة عساها تحل العقدة التى أعجز الطب حلها . وساورته هذه الأفكار وأمثالها فأفسدت عليه صناعة التطبيب فكان طبيبا مخيّبا ، ذلك لأن المؤاساة ولو كانت كاذبة صفة لابد منها للأساة ، أما اليأس من الأمراض ولو مؤنسة وقطع الأمل وتقطيعه على أسماع المرضى فلا يؤدى بالطبيب الا الى الخيبة . وعدا هذا فقد ساء إرليش طبيبا عندما لعبت برأسه لواعب الأحلام : كان ينظر إلى جسم المريض فينفذ ببصره إلى ماوراء جلده وكأنما يستعير لعينه مجهراً بالغ التكبير ، فتتراءى له مادة الخلية المرتعشة وقد ارتسمت فى عينه رمزاً كيماويا كبيراً لمادة كيماوية معقدة . وتراءات له حلقات البنزين وسلاسلها الجانبية (١) فى تلك الخلايا بمثل ماتراءات له فى رموز أصباغه ، ونحى جانباً أحدث النظريات فى علم وظائف الأعضاء ، واصطنع لنفسه كيمياء للأجساد غريبة قديمة فجاءت كالثوب ذى الزىّ العتيق تلبسه فى غير عصره . واختصاراً تستطيع أن تصف إرليش بما تحب إلا أنه مطبب عظيم ، ولو أنه كان طبيباً فحسب إذنْ لحقَّت عليه الخيبة ولمات ذكره . . . . ولكنه لم يمت !

وصاح إرليش : « إن فى اعتزامى أن أصبغ الحيوانات وهى حية ، ولِمَ لا وكيمياء أجسامها لا تختلف عن كيمياء أصباغى ؟ وصبغها وهى حية قمين أن يكشف لى عن كل شىء فيها » ، وعلى هذا تناول صبغته الحبيبة ، وهى أزرق المثلين Methlene blue وحقن قليلا منها فى وريد بأذن أرنب ، وتتبع بعينه انسياح الصبغة الزرقاء فى دم الأرنب وجسمه فوجدها تمر بكل جزء منه ثم تنقشع فلا يصطبغ بها شىء إلا

(١) حلقات البنزين هي حلقات في الكيمياء العضوية مركبة من ست ذرات من الكربون . والحلقة البنزينية تدخل في تركيب كثير من المركبات العضوية . وقد يرتبط باحدي ذرات كربونها تركيبات من عناصر أخري تسمى بالسلسلة الجانبية

أطراف الأعصاب الحية . فعند هذه الأطراف وحدها وقفت الصبغة وصَبَغَتها دون سائر ما مرت عليه فكأنما تخيرتها تخيراً ! ألا ما أغرب ! ألاَ ما أعجب ! ونسى علمه الأصيل برهة ، وأغرى بالمداواة وازدهته الطبابة لحة ، فقال فى نفسه : « ألا من أدرانى ، فلعل هذه الصبغة الزرقاء تقتل الألم ! » وما نطق بهذا حتى صدق نفسه وأخذ يحقن هذه الصبغة فى المرضى وهم يتوجعون . ولعل آلامهم خفت بعض الشيء من جراء هذا ، ولكنه ما لبث أن اعترضته فى سبيل ذلك صعوبات لو تحكى ماخلت حكايتها من المتعة والفكاهة . فأجفل مرضاه من الصبغة ؛ ومن ذا النعى يلومهم؟

خاب إذن إرليش فيما اعتزمه من إيجاد دواء يقتل الآلام توّا ، ولكنه اهتدى إلى تلك الحقيقة الغريبة عن أزرق المثلين : أنه يقع من أنسجة الجسم ومادته الحية على أشتات مئات مختلفات فلا يتعلق إلا بواحدة منها ؛ ومن هذه الحقيقة ابتدع فكرة أشبه بالخيال قادته أخيراً إلى اختراع رصاصته المسحورة .

وتحدث فى أحلامه قال : « هذه صبغة بين يدى لاتصبغ من أنسجة الحيوان جميعها إلا نسيجا واحدا . وإذن فلا بد من وجود صبغة لا تصبغ من أنسجة الانسان شيئا ، ولكن مع هذا يكون من شأنها أن تصبغ المكروبات التى تعدو على الانسان فتقتلها . وعاوده هذا الحلم خمس عشرة سنة أو تزيد قبل أن تتهيأ له الأمور لتجربة الفكرة التى تضمنها

وفى عام ١٨٩٠ عاد من مصر ولم يكن مات هناك من السل وحقنه كوخُ بدوائه الفظيع المزعوم للسل رجاء شفائه ، ولكنه لم يمت من هذا أيضاً . ولم يلبث أن بدأ العمل فى معهد كوخ ببرلين فى تلك الأيام العظمى التى كان فيها بارنج Behring يقتل الخنازير الغينية فى سبيل خلاص الأطفال من الدفتريا ، وكان فيها كيتا ساتو اليابانى يصنع العُجَاب بالفئران ذوات الكزاز الفكى . دخل إرليش هذا المعهد الذى أثقله الوقار وأناخت عليه الرزانة بكلكلها فكان روحه الحىّ وفيضَ حياة ثوّارة فيه . وكان له معمل تدخله فلا تكاد تجد سبيلك فيه لشدة امتلائه ولتبعثر الأشياء فيه ، تتألق فيه صفوف الزجاجات وتتلألأ وتزهو بالذى فيها من أصباغ كثيرة ضاق وقته عن استعمالها . ويدخل كوخ على تلميذه وهو فى هذا الامتلاء وعلى هذا التبعثر ليرى ماذا يصنع ، وكوخ ذو سلطان فى معهده كسلطان قيصر فى دولته . وما كان كوخ يرى فى أحلام إرليش عن رصاصاته المسحورة الا أنها بعض أحلام خرِفة . أقول يدخل كوخ على إرليش فى معمله فيقول : « أى عزيزى إرليش خبّرنى ما الذى خبّرتكَ به تجارب اليوم » . فيأتى الرد من إرليش متدفّقاً مضطربا يفسر هذا ويوضح ذلك فى غزارة وتلاحق كأنه عين ماءٍ ثرّة تدفّعت أمواهها ساخنة إلى السماء . وذات مرة كان إرليش يبحث فى الحصانة التى تأتى الفئران ضد السم الكائن فى حبوب الشَشم والخروع إذا هى تعاطته ، فلما دخل عليه كوخ فسأله فى ذلك تدفّع يقول :

إنى أستطيع أن أقدر بالضبط مقدار السم الذى يقتل فى ثمان وأربعين ساعة فأراً زنته عشرة جرامات . فهذا المقدار دائماً واحد . . . والآن أستطيع أن أخُطّ خطا بيانياً يرينا كيف تزيد الحصانة فى الفار — إنها تجربة تضارع فى دقتها تجارب علم الفيزياء . . . . أمُلق سيدى سمعك إلى ؟ ووجدت أيضاً كيف يقتل السم الفئران . إنه يجبن كرات الدم فى شرايينها ، وهذا كل تفسيرها . . . » وهو فى أثناء ذلك يلوح بأنانيبه الزجاجية وقد امتلأت بدم الفئران المنجمد القانى فى وجه رئيسه العظيم مؤكداً له أن مقدار السم الذى جبّن هذا الدم هو عينه الذى يكفى لقتل الفار الذى جاء هذا الدم منه . ولا يلبث كوخ أن يجد نفسه بين أرقام وتجارب تنصب عليه انصباباً فلا يكاد يلاحقها . ثم إذا هو يقول لإرليش

« ولكن مهلا يا عزيزى إرليش ، فانى أكاد أجاريك . أرجوك أن تزيد تفسيرك وضوحاً » . فيجيب : « على العين والرأس يا سيدى الدكتور فأنا أعطيك المزيد من ذلك فوراً » ، ولا ينقطع كلامه برهة ، بل هو يختطف قطعة من الطباشير ويرجع على ركبتِه ويخط على أرض المعمل أشكالا هائلة توضح آراءه . ثم ينظر إلى كوخ فيقول : « والآن ياسيدى أفهمتَ ما عنيتُ ؟ أواضح تفسيرى لك الآن ؟ »

«يتبع» أحمد زكى



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضى بيير كربتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

للأستاذ الغنيمى

— ٣ —

ذكرنا فى العدد الماضى طائفة من أغلاط الفصل الأول من الترجمة العربية لكتاب اسماعيل ، والآن نذكر طائفة أخرى من أغلاط الفصول التالية . ويظهر أننا سنضطر إلى الاكتفاء بذكر أمثلة قليلة من هذه الأغلاط فى كل فصل حتى لا نستأثر وحدنا بباب النقد فى الرسالة

(١) اقتضب الأستاذ صروف الفقرة الأولى من هذا الفصل اقتضاباً أفقدها نصف معانيها . أنظر إلى قول المؤلف:

But even his magnetic optimism would not have sufficed had English statesmanship been able to appeal to the Nonconformist conscience of the rank and file of the liberal electorate. It seems strange that Lord Palmerstone did not drive home the message that the Frenchman etc.

ثم انظر إلى الترجمة العربية : « إلا أن روح التفاؤل التى كانت تملأ صدره ما كانت لتمكنه من التغلب على تلك الصعاب لو أن الوزارة الانجليزية التى كانت يومئذ فى الحكم أفهمت الرأى العام البريطانى أن دلسبس ينوى . . .

(٢) The man who thought in terms of civis romanus sum should have known that whatever the Concessions...

كل ما ترجم به الأستاذ هذه العبارة هو قوله : « ومهما يكن من أمر الامتياز »

(٣) The fame of De Lesseps called up the name of Egypt.

هل معنى هذه العبارة هو : « كان اسم دلسبس على فم كل إنسان فى مصر » ، كما قال المترجم أو أن معناها : « إن شهرة دلسبس جعلت الناس يذكرون اسم مصر »

(٤) « ترجم الأستاذ عبارة Floating debt « بالدين العائم » وهو اصطلاح لم نره قبل الآن . والذى نعرفه أن معنى هذه العبارة الانجليزية « الدين السائر »

(٥) He undoes everything, does very little and is preparing us for some great catastrophe.

اكتفى الأستاذ فى ترجمة هذه العبارة بقوله : « وأخشى أنه يمهد لكارثة » وترك قول المؤلف إنه يفسد كل شىء ولا يكاد يفعل شيئاً

(٦) His figures differ a little from those of the author just quoted.

قال الأستاذ فى ترجمة هذه العبارة « وقد أورد أرقاما تختلف قليلا عن الأرقام التى أوردها لورد كرومر » وقد جاء الأستاذ باسم لورد كرومر من عنده فغير بذلك المعنى ، لأن المؤلف يشير الى السير أوكلندكلفن لا إلى اللورد كرومر

(٧) فى ص ٢٤ من الأصل الانجليزى يذكر المؤلف اختلاف المؤرخين فى مقدار ديون سعيد باشا ثم يرجع هذا الاختلاف إلى شيئين : الديون السائرة ، وديون سعيد الشخصية فيقول:

This difference is explained by Rae's reference to floating debts. It is also touched upon by the German economist . . . who published an interesting book on Egypt entitled Das heutige Agypten.

اقتضب الأستاذ هذه العبارة اقتضابا قطع الصلة بينها وبين ماقبلها فقال « وقد بحث الأستاذ . . . وهو من كبار علماء الاقتصاد الألمان فى هذا الدين فى كتاب له »

(٨) He served in the Egn. army at a time when the memory of Said's reign was still green.

ترجم الأستاذ صروف هذه العبارة بقوله إنه « كان فى الجيش المصرى فى أيام سعيد باشا » مع أن الأستاذ يعرف ان اسماعيل باشا هو الذى استخدم الضباط الأمريكيين فى جيشه وان الجنرال لورنج لم يكن فى جيش مصر أيام سعيد . وعبارة المؤلف صريحة فى هذا لأن معناها انه خدم فى الجيش المصرى وقت ان كانت ذكرى سعيد لاتزال ماثلة فى الأذهان

(٩) He was not phuysically prepossessi'ng

ليس معنى هذه العبارة أنه « لم يكن قوى الجسم » كما قال الأستاذ صروف بل معناها انه لم يكن حسن الهيئة منظرياً

(١٠) When his featurés were in repose his dark eyes seemed half closed.

اكتفى الاستاذ بترجمة جزئها الأخير فقال « وكان يخيل الى الناظر أن عينيه نصف مغمضتين » فغير بذلك معناها

(١١) His successor wisely kept in the background

قال الأستاذ فى ترجمتها « وكان خلفه مهملا مغضى عنه » وما أبعد هذا القول عن المعنى الذى يقصده المؤلف وهو ان خلفه رأى من الحكمة ألا يراه الناس كثيراً

(١٢) And from the vantage point of a man who moved behind the scenes and whose business it was to know what was going on the same writer brings out that during the days when Said was being more generous to de Lesseps than Esau was to jacob.

لم يزد الأستاذ صروف فى ترجمة هذه العبارة التى يصف فيها المؤلف ادون ده ليون وإكرام محمد سعيد لدلسبس على قوله « وذكر هذا الكاتب أيضا » وأين هذه الألفاظ الأربعة من قول المؤلف « وقد قال هذا الكاتب نفسه الذى كان يرقب الأمور من وراء ستار ، والذى كانت مهمته ان يلم بتصاريفها ، قال انه فى الوقت الذى كان فيه محمد سعيد يكرم دلسبس أكثر من اكرام عيسو ليعقوب » وان شاء الاستاذ أن يعرف قصة عيسو ويعقوب فليرجع إلى سفر التكوين من الكتاب المقدس . واذا جاز للأستاذ ان يترك ما أشار به المؤلف الى قصة عيسو ويعقوب فهل يجوز له أن يترك ما وصف به ادون ده ليون قنصل امريكا العام فى الاسكندرية والتى أوردها ليدل على سعة اطلاع هذا القنصل وصدق أخباره ؟

وهنا نحب أن نرجو الاستاذ المترجم ألا يضيف شروحاً من عنده إلى ألفاظ لا تحتاج إلى شرح ، وبخاصة إذا وضع هذا الشرح فى صلب الكتاب وكتب إلى جواره لفظ المعرب كوضع كلمة كوبرى بعد كلمة جسر ؛ واعتقادنا أن ليس فى قراء ترجمة الاستاذ صروف كلهم من لا يعرف معنى جسر

وسنكتفى بذكر هذا العدد من أغلاط الفصل الثانى لننتقل بعد ذلك إلى ذكر بعض أغلاط الفصل الثالث .

(١) Of this formidable sum the 16, ooo, ooo spent on the Suez Canal was the only portion for which assets of any value could be shown, the balance . . . had been squandered.

ترجم الاستاذ صروف هذه بقوله : « انفق منه (من ٩١٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه) ١٦ مليون جنيه على قناة السويس وانفق الباقى توديراً وتبذيراً .

فهل هذه هى ترجمة العبارة الانجليزية ؟ وماذا أعجب الاستاذ فى لفظ تودير الذى كرره فى كتابه أكثر من مرة . نعم انه لفظ عربى فى معاجم اللغة ولكن الأذن لا تستسيغه ولدينا بدلا منه التبذير و لاسراف وبسط اليد والاتلاف الخ

(٢) Isnail himself is as fine a type of the pend-thrift as can well be found whether in history or in fiction. No equally reckless prodigal ever possessed equelly unlimited control of equally vast resources. He came to the throne etc.

انظر إلى ترجمة الاستاذ لهذه العبارة المقتطفة من كتاب لورد ملنر فقد قال :

« ان اسماعيل خير مثال للرجل المبذر عرفه التاريخ أوتصوره مؤلفو الروايات . وما من مبذر طائش كان له سلطان غير محدود على موارد غير محدودة . فقد ارتقى العرش »

ما هى العلاقة التى يستطيع القارىء أن يفهمها بين الجملة الثانية وما قبلها أو بعدها ؟ ان لورد ملنر يريد أن يقول : « إن اسماعيل باشا خير مثال للرجل المبذر عرفه التاريخ أو القصص ، ولم يؤت أحد مثل ما أوتى اسماعيل من الطيش والتصرف المطلق من كل قيد فى موارد لا حد لها وقد اعتلى عرش مصر الخ .

(٣) قال المؤلف يشرح سبب بقاء ادون ده ليون فى مصر بعد ان اعتزل منصبه :

The climate of Egypt is most attractive. Cairo is, in many, ways, what the Germans call a welt-stadt. It is thus easy to understand why this official kept for years in close touch with the scenes where he claims to have played an important part.

كل ما عنى الاستاذ بترجمته من هذه العبارة هو أنه « أقام عدة سنوات بالقاهرة بعد اعتزاله منصبه » أما سبب مقامه فيها وما كان لوجوده من الأهمية فلم يذكر الاستاذ صروف منه شيئاً .

(٤) The labours which used to constitute his pleasure have become an imperious necessity.

قال الاستاذ فى ترجمة هذه الجملة : « فالأعمال التى كان يقوم بها على سبيل التسلية قد أصبحت ضربة لازب عليه » فهل كان الخديوى يقوم بأعمال الدولة كلها التى ذكرها المؤلف قبل هذه العبارة على سبيل التسلية أو أنها كانت واجبات يراها فرضاً عليه ولكنها فى نفس الوقت كانت « مصدر سروره وغبطته »

(٥) ثم انظر إلى الفقرة الآتية من قول الاستاذ صروف :
« والكاتب لا يقتصر على القول بأن قصر عابدين بناء وضيع الشكل من الوجه الهندسي بل يضيف اليه قوله إن بهو المآدب والحفلات لايشف مرآه أو أثاثه أو زخرفه عن شيء من العظمة » « واقرأ بعد ذلك معناها الحقيقي الذي يريده المؤلف » لكنه في كتابته يبدي آراء من عنده إلى حد ما ولا يقتصر على ذكر الحقائق المجردة حين يصف قصر عابدين « بأنه متواضع البناء » وحين يقول : « إن حجرة الاستقبال غير فاخرة الأثاث أو بديعة النقش » ولا داعي إلى ذكر النص الانجليزي لأن ما أوردناه هنا هو ترجمته الحرفية ونحب أن نقول هنا أن ترجمة Modest بوضيع كما فعل الاستاذ أكثر من مرة ليست ترجمة دقيقة .

(٦) An equally sincere visitor might perhaps have arrived at a diametrically opposite view of the same physical conditions.

هذه معان لم يترجم منها الاستاذ صروف شيئاً

(٧) But, however this may be, the following lines cannot be brushed aside without accusing the man who wrote them of subjective untruthfulness

وهذه العبارة كلها أيضاً لم يترجمها الاستاذ بأكثر من قوله « وعلى كل يجدر بنا أن نقتبس العبارات التالية توفية للكلام حقه »

(٨) Writing to his chief a confidential report which was not inteuded for publication and in which he could call a spade a spade he said.

قال الأستاذ صروف في ترجمة هذه العبارة « أما البيان الذي قدمه القنصل فلم يكن يراد نشره ولذلك أطلق لنفسه العنان ليقول كل ما يخطر بباله . ونحن نجل هذا القنصل عن أن يطلق لنفسه العنان ليقول كل ما يخطر بباله ونعتقد انه في هذا التقرير السري الذي كتبه الى رئيسه والذي لم يكن يراد نشره كان صريحاً كل الصراحة لا يخفي من الحق شيئاً »

(٩) لينظر القارىء معنا الى هذه الفقرة الطويلة من قول الاستاذ صروف « على أن إسماعيل لم يكتف بان صرح بعزمه على الغاء السخرة » وفي الحقيقة ان كلمة السخرة كانت على كل شفة حتى ان القنصل الفرنسي العام كتب يومئذ الى وزارة الخارجية الفرنسية يقول « ان هذه اللفظة تفرق بين الأعمال الحكومية والمصالح العامة وهي تنطوي دائماً على إشارة الى الاعمال الجارية في ترعة السويس بحيث ان جميع العيون تشخص الى » وليقل لنا هل يفهم لها معنى ؟

(١٠) ولينظر إلى هذه العبارة الأخرى من ترجمة الأستاذ صروف « وليس ثمة سبب يحملنا على القول بأن الخديو كان مستعداً أن يسلك تلك الخطة لو لم يكن مقتنعاً بصوابها . وعلى كل فقد أظهر بمعاداة فرنسا جرأة عظيمة

ألم يكن أسلس من ذلك أن يقول مثلا « وليس ثمة ما يحملنا على الاعتقاد بأن الوالي قد فعل ما فعل وهو غير مقتنع بانه إنما يؤدي الواجب المفروض عليه . وسواء أكان ذلك أو لم يكن فقد كان وقوفه في وجه فرنسا عملا جريئاً . أما عبارة المؤلف فهي : —

There is no reason to believe that the Viceroy would have done what he did had he not been convinced that it was the proper thing to do. At all events it was a bold act on his part to antagonise France.

(١١) The conviction is thus driven home that Ismail's first official contact with the consular corps accredited to him tends to refute the Milner indictment and the popular heresy that Imail was etc

إلى القارىء كيف ترجم الاستاذ صروف هذه العبارة : وعليه فان الصدمة التي صدم بها اسماعيل قنصل فرنسا في مصر تدحض التهمة التي وجهها ملنر إلى اسماعيل » . فهل هناك ترجمة أبعد عن الحقيقة من هذه الترجمة ؟

تلك أمثلة من أغلاط الفصلين الثاني والثالث ذكرناها موجزة لكي يتسع لها باب النقد في الرسالة ولكي يسمح لنا الأستاذ الأديب صاحبها أن نواصل نقدنا حتى تتمه ، وسنسير على هذا الايجاز في الفصول المقبلة إن شاء الله .

الغنيمي



ملاحظات على التعليم فى مصر

نشرت جريدة المنشستر جارديان فى أحد أعدادها الأخيرة فصلا طويلا عن التعليم فى مصر ومسائل الطلبة المصريين فى حاضرهم ومستقبلهم بقلم الدكتور ماكلانهان عميد قسم الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية استهله الكاتب بتقديم الاحصاءات الأخيرة عن عدد الطلبة المتخرجين فى مختلف الكليات والمعاهد الفنية والخصوصية، وتبيان التقدم السريع الذى طرأ على سير التعليم العالى والفنى . وفى رأيه أن هذا التقدم إنما هو نتيجة طبيعية مشروعة لآمال الشباب المصرى الذى يرغب فى مهن ومراكز رفيعة فى الحياة العملية . بيد أن اضطراد هذا التقدم يثير مشكلة دقيقة ، فهل تستمر مصر على ترك حبل التعليم العالى على غاربه ؟ وهل تظل على تخريج هذه الجموع الحاشدة من الشباب الطموح المتعطل ؟ أم أنها سوف تتخذ الاجراءات لتقييد بعض أنواع التعليم ؟ يرى الكاتب أن مصر ستحذو حذو الأمم الأخرى فى الاحتفاظ بحرية التعليم . على أن ما يثير القلق هو أن جماعة الطلبة قد اعتادت فى الأعوام الأخيرة أن تأخذ الأمور بيدها وأن تطالب بأمور كثيرة فيما يتعلق بمصاريف التعليم ونظام الدراسة ، وما سيكون نصيب الطلبة من إدارة الشئون العامة ولم يشذ عن هذه القاعدة طلبة الجامعة الأزهرية الذين يبلغون وحدهم اثنى عشر ألفا

وتبدى جماعة الطلبة رغبة قوية فى الاشتراك فى بحث المسائل السياسية والاقتصادية المصرية ، بل يمكن القول بأنها تتأثر فى حركتها بالنزعة الفاشستية ، وذلك على رغم ارادة الزعماء السياسيين .

وقد اتخذت الحكومة بعض خطوات فى سبيل ترقية التعليم التجارى ورفع مستواه ، ولكن الشركات والمتاجر الأجنبية تصر على توفر معيار خاص من الكفاية . وما زال على مصر أن تبحث فى المستقبل القريب عن حل هذه المشكلة الدقيقة ، أعنى مشكلة التعليم ، وعما إذا كان من الواجب أن تسير فى سبيل التوسع في شئون التربية أم فى سبيل تقييدها

ولا ينكر أحد ضرورة التعليم كعامل فى تقدم الأمة ، بيد أنه يجب أن تتخذ بعض التحوطات ؛ ويخشى أن يفضى التقدم السريع إلى أزمة . أما إذا كانت مصر قد عولت على السير الحثيث ، فسوف يطلب إليها أن تؤدى الثمن . وقد أدركت بعض الدول الأوربية خطر تدخل الشباب فى الشئون العامة وتأثره بنفوذ الزعامات الشعبية الطائحة ، فعملت على تجنبه

نقول ، وهذه ملاحظات جديرة بالعناية والتأمل من كل أولئك الذين يعنون بتربية الشباب ومستقبله

ثلاثة كتب عن الحرب الحبشية

ظهرت أخيراً عن الحرب الحبشية ثلاثة كتب هامة ، أولها وأهمها كتاب المارشال دى بونو وعنوانه : « السنة الرابعة عشرة . فتح امبراطورية » Anno XIV ، أعنى السنة الرابعة عشرة لقيام النظام الفاشستى فى إيطاليا وهى سنة ١٩٣٦ التى تم فيها استيلاء ايطاليا على الحبشة ، والثانى بقلم الماجور بولسون نيومان المعروف بمؤلفاته عن مصر والشرق الأدنى وعنوانه : « فتح إيطاليا للحبشة » Italy's Conques of Abyssinia ، والثالث بقلم الصحافى الأمريكى هربرت ماتيوس وعنوانه « شاهد عيان فى الحبشة » Eyeurtness in Abyss ، وكتاب المارشال دى بونو هو بلاريب أهم هذه الكتب وقد نوهت عنه الرسالة فى عددها الماضى ؛ فقد كان المارشال كما نعلم أول قائد للحملة الايطالية على الحبشة ، وقد

قاد هذه الغزوة فى أشهر الحرب الأولى ؛ وأهمية الكتاب فى أنه يميط اللثام عن حقائق سياسية وعسكرية خطيرة ؛ مثال ذلك أن المارشال يعترف لنا فى كتابه أن مشروع غزوة الحبشة يرجع إلى سنة ١٩٣٣ أعنى قبل حادث وال وال الذى اتخذته ايطاليا حجة لغزو الحبشة بعامين ، وإن موسولينى وضع هذا المشروع خفية مع المارشال ، وفكر فى تحقيقه أولا بالعمل على اضرام نار الثورة فى الحبشة ، ثم التدخل بحجة المحافظة على السلام ؛ وقد أنفقت إيطاليا فى سبيل هذه المحاولة مبالغ طائلة ، ولكن القبائل لم تثر فى وجه النجاشى كما أريد وحبط المشروع ، فلبث موسولينى وقائده يتربصان بالحوادث حتى وقع حادث وال وال ، وزعمت ايطاليا عندئذ أن الحبشة تنوى الاغارة على المستعمرات الايطالية ، ووقع الاعتداء الشنيع على الحبشة وقد عجب الرأى العام حين صدر كتاب المارشال ولم يعترض موسولينى على ظهوره متضمناً لهذه الأسرار التى تفضح مشاريع إيطاليا الاستعمارية ونياتها المبيتة على الاعتداء ولكن الظاهر أن السياسة الفاشستية لم تعد تقيم للرأى الدولى وزناً ولا ترى فى لومه أو مؤاخذته عاملا يحسب حسابه ، ومن جهة أخرى فقد اعتبر التصريح للمارشال باصدار كتابه حراً طليقاً تعويضاً أدبياً عما أصابه من آلام العزل خلال نشوب الحرب وانتداب المارشال بادوليو لاتمامها وفوزه بشرف الظفر دونه .

وأما كتاب الماجور نيومان فهو كباقى كتبه عرض للحوادث من الوجهة الاستعمارية ، وفيه يحبذ افتتاح الحبشة ويعرب عن ثقته بأنها سوف تستقبل فى ظل الحكم الأوربى عهداً جديداً ، وأن الزمن كفيل بتسوية الاخطاء التى ارتكبت

وأما الكتاب الثالث ، وهو كتاب «شاهد عيان فى الحبشة» فهو مشاهدات صحفى ، صحب الحملة الايطالية منذ بدء الحوادث وتنقل معها فى جميع الميادين . فهو ليس تاريخاً بالمعنى المقصود ولكنه جريدة يومية للوقائع مشبعة بروح العطف على الغزاة .

دار لنوادى القلم فى باريس

كان الكاتب الفرنسى الكبير جول رومان رئيس نادى القلم الدولى قد أذاع فى إحدى خطبه منذ أشهر أن الحكومة الفرنسية ستنشىء فى باريس داراً لأعضاء نادى القلم من كافة أنحاء العالم . وقد تحقق نبأ المسيو جول رومان ؛ ففى أنباء باريس الأخيرة أن الحكومة الفرنسية قد اختارت فى حى الشانزليزيه داراً عظيمة فخمة ، وخصصتها للوافدين على باريس من أعضاء نوادى القلم فى انحاء العالم ؛ وستحتوى الدار المذكورة على غرف للنوم ، وابهاء للمطالعة والاجتماعات ، وستزود بمكتبة عظيمة ؛ وسيكون بها قلم سكرتيرية دائمة تعاون الضيوف على زيارة معالم باريس وقضاء مهامهم . وللدار المذكورة شرفة عظيمة تسع خمسين شخصاً خصصت لجلسات الصيف ؛ وسيقدم طعام الافطار للضيوف الذين يبيتون فى الدار

ولما كان مؤتمر نادى القلم الدولى سيعقد هذا العام فى باريس بدعوة من نادى القلم الفرنسى فانه من المنتظر أن يفد كثيرون من أعضاء نوادى القلم فى مختلف أنحاء العالم على باريس لتمثيل هيآتهم فى المؤتمر ؛ وسيكون نادى القلم المصرى ضمن النوادى الماثلة فى هذا المؤتمر على يد ثلاثة أو أربعة من أعضائه ؛ وسيعقد المؤتمر المذكور ، وهو الخامس عشر من نوعه ، فى شهر يونيه القادم

وهذا الخطوة التى تتخذها الحكومة الفرنسية لتكريم الكتاب الأجانب هى من أثر المساعى الجمة التى يبذلها مسيو جول رومان لتقوية نفوذ هذه الهيئة الأدبية الدولية

اكتشاف مدينة مصرية قديمة

روت الصحف السويدية نبأ اكتشاف أثرى هام وفقت إليه البعثة الأثرية السويدية التى تقوم بالحفر فى مصر برياسة الدكتور يلمار لارسن ؛ وكانت حفائر البعثة هذا العام فى منطقة أبو غالب ، فكشف المنقبون عن مدينة مصرية قديمة ترجع إلى نحو أربعة آلاف عام ؛ وظهر من أحيائها جانب يشمل عدة منازل ، ومنها منزل ظهرت به سلالم كاملة ، ومخازن للغلال ؛ ووفقت البعثة أيضاً إلى اكتشاف عدة آنية وتحف أثرية أخرى ؛ بيد أن الحفر لم يكشف عن كل شىء بعد ؛ ويرى الدكتور لارسن أن هناك منطقة أثرية هامة سيكشف عنها قريباً ، وقد توفق البعثة إلى اكتشافات عظيمة

الشأن من الوجهة التاريخية ، وتؤمل الدوائر السويدية أن ينال متحف ستوكهلم الوطني شيئاً من الآثار المكتشفة تزيد في قيمة مجموعته المصرية

متحف لحياة الطلبة

من أنباء ألمانيا أن مدينة فرزبورج قد قررت أن تنشيء في قلعتها الشهيرة معهداً لتاريخ الجامعات الألمانية ، وسيلحق به متحف هو الأول من نوعه ، لأنه سيخصص لاستعراض حياة الطلبة في الجامعة ؛ وقد جمعت إلى الآن نحو ألف وستمائة قطعة مختلفة من جامعات ألمانيا من صور وأدوات وأسلحة وغلايين وبرانيط ، وثياب ، مما يستعمل الطلبة في مختلف العهود والفصول ؛ هذا إلى كثير من الدفاتر والمحابر والأوراق والقصائد والصور التذكارية ، وأدوات اللعب المختلفة نسقت جميعها في أروقة وأبهاء تمثل حياة الطلبة أثناء الدرس وأثناء اللعب والتريض

مشروع معجم للأعلام عن مصر

تصدر شركة انكليزية قاموسا للاعلام في أوربا الوسطى وأوربا الشرقية بعنوان Who's who in C. and E. urope وهومرجع الأعلام الوحيدمن نوعه . وقد فكرت الشركة الناشرة أخيراً أن تضع ملحقا لهذا المعجم عن الاعلام في مصر في طبعته القادمة ؛ وأوفدت بالفعل أخيراً إلى مصر مندوبا خاصا لها لمقابلة الشخصيات البارزة في مصر وجمع المعلومات اللازمة عنها لوضع التراجم الخاصة بها

ونظام هذا المعجم على نظام المعجم العالمي الكبير في وضع تراجم موجزة تدرج بها أهم الخواص عن الشخص مثل تاريخ ميلاده ، وشهاداته ، ووظائفه وعنوانه الدائم

المبرد

كنت أخذت على الأستاذ ابراهيم مصطفى في أسبوع الجاحظ أنه نطق المبرد بالفتح ، فكتب أحد القراء الكرام إلى الرسالة ينتصف فيها للأستاذ وينصره ، والواقع أن هذا خطأ شائع في ألسن الناس حتى في الألسن المثقفة ، وإني لأجعل الحكومة في هذه القضية لحجة اللغة والأدب أستاذنا المرصفي إذ يقول في تقدمة كتابه رغبة الآمل في شرح الكامل : « كثيراً ما يتساءل الناس عن كلمة المبرد ، أ بكسر الراء أم بفتحها ؟ والقول الثابت عندنا ما ذكره ياقوت في كتابه معجم الأدباء قال : وإنما لقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام ساله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له المازني : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للحق ، فحرفه الكوفيون ففتحوا الراء ؛ وعن السيوطي في مزهره أن شيخه أبا عثمان المازني سأله عن عويصة فأجاب بجواب برد به غليله ، فقال له : قم فأنت المبرد ، فهو الذي لقبه به ، وكان الكوفيون يفتحون الراء تهكما به !

قلنا : ولذلك كان الرجل يقول : برد الله من بردني ، والرجل أدرى بحقيقة لقبه ، ونعوذ بالله أن تحق فينا كلمته فنكون من المبردين

محمد فهمي عبد اللطيف

احياء ذكرى المنفلوطي

لجنة إحياء ذكرى المنفلوطي تناشد أساطين الأدب وأعلام البيان العربي باسم الوفاء لفقيد اللغة والأدب المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي أن يتفضلوا بالكتابة عن أدبه الخالد من شتى نواحيه بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاما على وفاته وتمهيداً لإقامة مهرجان أدبي لإحياء ذكراه في ١٦ يوليو القادم

وترجو حضرات الكتاب والأدباء أن يعدوا مباحثهم الأدبية التي سيلقونها في مهرجان إحياء الذكرى وليتكرموا بمخابرتنا بمصر بشارع ذهني رقم ٨ بالظاهر . وسنعلن فيما بعد عن المكان الذي سيقام فيه الاحتفال في الموعد المحدد علنا نكفر عن تقصيرنا في حق الفقيد الراحل ثلاثة عشر عاماً

سكرتير اللجنة

متولي حسنين عقيل

كتب الرحلات

كتب الرحلات من الأسفار التي يعنى الأوربيون بالاكثار منها لأنها وسيلة من وسائل إيقافهم على مجرى أساليب الحياة في الأقطار الأخرى، ولعل أكثر الأمم اهتماماً بذلك الشعب الانجليزي، فقد جبل على حب المخاطرات والتنقل بين بلدان الشرق والغرب، وهذان كتابان أصدرتهما مطبعة Hutchinson في الشهر الماضي أما الأول فهو رحلة إلى سمرقند وبعض البلدان الأسيوية South to Samarkand لسيدة انجليزية هي إثيل مانين E. Mannin وهي تذكر في كتابها هذا ما لاقته من صعاب البيروقراطية الروسية في منعها من الدخول هناك، وتقص كيف تمكنت من عبور الحدود ودخول تركستان الروسية من «كراسنوفدسك» الواقعة على بحر قزوين ثم منها إلى تاشقند: وذلك في أسلوب يستهوي القارئ وتصف معيشة أهل السهوب والقفار وتقول في سياق حديثها «وفي القوقاز، كنا أول سيدات انجليزيات يزرن هذه البلدة الألمانية الصغيرة جراندنبرج، تلك الواحة المنسية في بحر مترامي الأطراف من العشب، كما تلم بعادات القبائل الكردية والفارسية والقوقاز، والأزبك والتتار، وتصف حياة النساء مما يدل على أنها تغلغلت بين طبقات هذا المجتمع الذي يعد حلقة اتصال بين البداوة في صورها الأولى والحضارة الغربية وتقول إن الحرية التامة متوفرة بين هذه الشعوب الشرقية، وإن الحضارة الأوربية إنما تفقدهم الكثير من صفاتهم الجميلة ولكنها لا تصيّرهم غربيين.

أما الكتاب الآخر فعن ألمانيا الهتلرية وعنوانه German Journey ألفه شاب انجليزي حدث يدعى C. Sidgwick سمع الكثير عن ألمانيا النازية من مدح وقدح فأحب أن يلمس ذلك عن قرب، فسافر اليها، وفي الفصول الأولى تقدمة تاريخية عن ألمانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر ويصف فيه محاسن النازية ومثالبها، وإن كان يميل في الغالب لاستحسان أعمالها على وجه الاجمال

حفلات غنائية هائلة

تقام في شهر يولية القادم بمدينة برزلاو بألمانيا حفلات غناء هائلة يشترك فيها مائة وعشرون ألف مغنى؛ وتنظم فيها جماعات للغناء والنشيد المشترك تضم الواحدة ثلاثين ألفا أو أربعين ألفا من المغنين؛ وهذه أعداد ضخمة لم يسمع باجتماع مثلها من قبل في حظيرة واحدة للغناء؛ ولهذا اتخذت إجراءات غير عادية لتنظيمها وتدريبها، ومهدت لها أبهاء فسيحة يجرى إعدادها منذ أعوام؛ وقد تم منها بهوان عظيمان أحيط أحدهما بالمنابر وبلغ مسطحه ١٤٠ ألف متر مربع، ويمكن أن يتسع لأربعمائة ألف وعشرين ألفا من الناس، وأقيمت في البهو الثاني منصة هائلة تتسع لثلاثين ألفا من المغنين؛ وانه لمن الصعب أن يتصور المرء كيف تجتمع هذه الألوف الحاشدة من الفنانين في حظيرة واحدة، وكيف ترتفع هذه الأصوات بالغناء المنسق المنتظم؛ ولكن عصرنا أضحى أهلا لكل أعجوبة وكل مدهش

كتاب عن الرهبنة

ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب عن الرهبنة والرهبان في انكلترا عنوانه «الرهبان الانكليز وإلغاء الأديار» English Monks and Suppression of Monastries بقلم المستر جوفرى باسكرفيل وهو كتاب شائق في موضوعه وفي أسلوبه، وقد لعبت الأديار في العصر القديم دوراً هاما في تاريخ انكلترا كما لعبت دورها في تواريخ الأمم الأخرى؛ ومن ثم كانت أهمية هذا الكتاب؛ ولدينا نحن بالعربية أكثر من كتاب عن تاريخ الأديار والكنائس



عالم السدود والقيود

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ كامل محمود حبيب

أهو كتاب أدب ؟

أهو بحث فلسفى اجتماعى ؟

أهو نقد يراد به إصلاح ناحية خاصة ؟

أهو سرد حوادث مرّت على عينى الكاتب فسجلها يُراد المتعة وإزجاء الفراغ ؟

أهو صرخة من أعماق قلب رجل طوحت به الأيام إلى قرارة سجن . . . فتلمس فيها الثورة والحنق . . . ؟

أم هو ماذا ؟ . .

لقد كفانا الأستاذ - وهو يقدم لكتابه - مئونة التخبط بين هذه الأسئلة فقال : « لست أعنى بها (الصفحات) أن تكون قصة ، وإن كانت تشبه القصة فى سرد حوادث ووصف شخوص ؛ ولست أعنى بها أن تكون بحثاً فى الإصلاح الاجتماعى ، وإن جاءت فيها إشارات لما عرض لى من وجوه الإصلاح ؛ ولست أعنى بها أن تكون رحلة ، وإن كانت كالرحلة فى كل شىء إلا أنها مشاهدات فى مكان واحد ؛ ولا أستقصى كل ما رأيتُ وأحسستُ وإن كنتُ أقول بعد هذا أن الاستقصاء لا يزيد القارىء شعوراً بما هناك ، لافرق بينه وبين الخلاصة إلا فى التفصيل والتكرار . . »

نعم ، لم يرد المؤلف شيئاً من هذا وإنما أرادها جميعاً ، فجمع بين أشتاتها وألف بين أطرافها ثم زاد عليها نقداً فى سخرية ، وتهكما فى مرارة ، بثهما فى أعراض هذا السفر الصغير فهو قد قال فى باب « المنع والترخيص » . . « فاذا أبيح الشىء مرة فانما يُباح فى حالة لا تسرى إلى غيرها ، وفى وقت لا يمتد إلى ما بعده . . الخ الخ » وفى قصة الفجل والجرجير ص ٥٢ ، ص ٥٣ نوع من هذا التهكم اللاذع

ولا يبرح الأستاذ العقاد فى كتابه يطرفنا بنكتة مستملحة أو حادثة ممتعة منذ دخل فى عالم السدود والقيود إلى أن خرج منه ، ففى باب « الليلة الأولى فى السجن » وكذا فى باب « أحمد حمزة » من الدعابات مالا يستطيع معها القارىء أن يمسك عن الانفجار ضحكا وقهقهة كأنه أراد أن يزيل عن القارىء بعض ما يسيطر عليه من الجد وهو يقرأ ، أو كأنه أراد أن يستحث القارىء فيدفعه إلى آخر صفحة من الصفحات ، أو كأنه نسى بعض ماقاسى فى السجن وهو يكتب . . !

وقد يجول بالخاطر أن الإجرام ينزع عن الإنسان إنسانيته فيبدو حيواناً مفترساً يفزمنه الناس ، خوف التعدى وخشية الضرر ، غير أننا نرى فى الكتاب براهين وأدلة تأتى على هذه الخاطرة من أساسها ، نراها فى الصفحات (٧٣ - ٨٠) وفى صفحة ١٩٧ . . . وقد تدفع الضرورات رجلا دمثاً إلى اقتراف جرم محظور ، فيكشف ويناله الجزاء ، إلا أنه لايندر أن يظل بعد ذلك رجلا دمثاً كما كان . . .

وإذا كان « السجن إصلاح وتهذيب » كما يقولون ؛ فلم لا نرى أثر ذلك فى سجوننا لما ينال السجين من ظلم وإعنات وتحقير ومهانة واستصغار . وإذا كانت هذه الشدة تفيد فى قليل من الحالات فما لاريب فيه أنها تبذر الحنق والضغينة والحفيظة فى نفس السجين إن كان دمثاً ، وتغرس فيه الثورة والجموح إن كان شريراً . ولقد أشار المؤلف إلى نظام السجون الأوروبية لنرى ماييننا وبينهم من بون شاسع

فى هذه الناحية ، وإن كان بعض الأمم قد جاوز الحد فيما خولوا السجين من حرية وتسلية . ولقد هفت بى نفسى نحو سجون موسكو — وأنا أقرأ بعض ما كتبه جيمس برفن ستيوارت ص ٢١٠ إلى ص ٢١٤ - لأستمتع بما يستمتعون به بعيداً عن عناء العمل ، وعناء الأمل ، وعناء الفكر ، إلا أننى - وأستميح الاستاذ عذراً - لا أستطيع أن أعمل ثمانى ساعات كل يوم تتخللها ساعة واحدة للطعام . . .

ولقد رأيت فى الكتاب هدوء من يقص قصة لا تضطرب حوادثها فى نفسه ، ولا تلمس مفاجآتها قلبه ، فعجبت - بادىء ذى بدء - غير أنى عدت إلى نفسى فقلت : لعله النسيان قد محا كثيراً من الذكرى ، أو لعله الاطمئنان إلى كل ما يجىء به القدر ، أو لعله الايمان بالتضحية ، أو لعلها حكمة الشيوخ ورزانتهم لا تعبأ . . .

هذه كلمة إن لم يكن فيها الاستقصاء ففيها التعريف بالكتاب وليس بالمؤلف . كامل محمود حبيب

أحسن القصص

للاساتذة : محمد عطيه الابراشى ، محمود السيد عبد اللطيف ، حسن محمد جوهر

القصة ضرب من الأدب الرفيع تجمع بين رقيق النثر ، ورشيق الشعر ، فلها من الشعر سحره وجماله ، ومن النثر ترسله وانسجامه ، يسير سلساً كالماء ساعة الأصيل رقراقا كالنسيم العليل ، لا تقف فى طريقه جنادل الأوزان ، ولا يغل بأغلال القافية ، وقد صيرت وزارة المعارف القصة أساسا من أسس التعليم فى منهج المدارس الابتدائية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وتنافس الكتاب فى إصدار القصص ، فهذه قصة تاريخية ، وتلك جغرافية والأخرى أدبية ، والتلاميذ يستسيغون جميع ذلك

وبينا نحن نتمنى للقصة « فى أفق المدارس » الكمال والسلامة من زيف الخيال ، وزيغ المطابع والأقلام برزت الحلقة الأولى من حلقات « أحسن القصص » لأساتذة أمجاد بارعين فاذا هى مزيج من الأدبين العربى والافرنجى ، وصلة بين الخيالين الغربى والشرقى فى أسلوب هو - كما يقولون - السهل الممتنع ، والقريب البعيد ، وإذا كان هذا أول الغيث ، فإنه غيث ممرع ، وصيب بالخير مترع ، فالحلقة خالية من التكلف والصنعة مفعمة بالروعة والمتعة ، قد أنفق عليها مؤلفوها عن سعة إيماناً بفنهم واطمئناناً إلى آثارهم ، فالغلاف جميل أنيق يحدثك دون قراءة عنوانه أنه قصة ، وتنطق ريشة المصور بأنها ساحرة ، والورق ناصع ، والطبع صاف دقيق والصور خلابة ، وإن بدا للقارىء أن الكتاب فى غنية عن التصوير ؛ فقلم كاتبه أفصح من ريشة مصوره ، وسحر عبارته آخذ من دقائق صورته .

يشتمل الكتاب على أربع قصص : قصتين عربيتين وأخريين مصريتين ، تلمس فى الأولى حياة العرب فى حضارتهم وجدهم فى دعتهم ، ومزحهم فى حكومتهم ، وسماحتهم فى ضيافتهم ، وتقرأ فى الثانية مثلا لحقد المرأة ، وآخر للحب الظافر ، وفى الثالثة وصف محكم للصحراء وجوها وللواحات وثمراتها ، ولصبر البدو وعزمهم وثباتهم على العقبات فى جلد وصرامة ، وتنتظم الرابعة مواقف محرجة سهلة الابتداء عسيرة الانتهاء ، وفيها مثل نبيلة للحنو والعطف .

وإذا كان على الناقد أن يتقصى الحسنات والسيئات فإنا لانكاد نلقى فى هذه الحلقة سيئات تذكر ، اللهم إلا هنات تبدو كالكلف فى جبين الحسناء ، من ذلك أن صورة الغلاف لا تمثل منظراً فى الكتاب ، والرقصة الموصوفة بأنها عربية فى « خليفة فى الخيال » لا تمت إلى العرب من قريب أو بعيد ، كما أرى وجوه الراقصات وجوها غير عربية ، فالوجه العربي مستطيل غالباً ، وأرى أن توضيح الصور بالكتابة تحت الرسم تزييف لها ، فللرسم لغته ، وهو غنى عن الكلام ، وإلا عد دليل الضعف والقصور ، وتسمية القصة الثالثة « عزة فى الصحراء » تسمية غير موفقة إذ مكانتها فى القصة ثانوية ولا يرفع من منزلتها أنها وحيدة أبيها ، ولفت نظرى تكرار عبارة « حباً وكرامة » فى روايتين عربية وإفرنجية ، وحبذا لو نوعت العبارة ولدى المؤلفين من أفانين القول معين لا ينضب ، على أن الكتاب مع ذلك طاقة يانعة من أزاهير الجمال

المعادى عبد العظيم على قناوى